الأسد في الخارج

المقــدمــة

أسدان ..

يُخبرنا سفر الأمثال عن إنسان كسول اختلق لنفسه عذراً ليبرر به عدم خروجه من المنزل للعمل والقيام بواجباته :

« قال الكسلان الأسد في الخارج فأُقتَل في الشوارع »

(أم ٢٢: ١٣) ..

تصوَّر هذا الكسلان أن أسداً يجري في الشوارع خارج بيته فقال لنفسه كيف أخرج لعملي ، سيهجم عليَّ الأسد ، سيقتلني ، لا ، لا أريد أن أموت .. لن أخرج وسأواصل النوم !!..

والحقيقة أن الأسود لا تتواجد في الشوارع ، وحتى في وقت كتابة سفر الأمثال لم تكن تأتي بالقرب من البيوت إلا نادراً جداً .. لكن الكسلان خدع نفسه .. واستسلم للخداع .. فقد جعل من الخوف من خطر غير موجود « الأسد » مدعاة للكسل والاستمرار في النوم والتقلب على الفراش!!..

إذا فكرنا ملياً في الأمر سنجد أن الأسد لم يكن في الشارع خارج البيت بل داخل البيت مع الكسلان !!.. إقرأ ما تقوله رسالة بطرس الرسول الأولى :

« إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو » (١بط ٥: ٨) ..

لم يكن هناك أسد خارج البيت في الشوارع ، كان الأسد الحقيقي إبليس في داخل البيت بجوار الكسلان النائم على سريره يمدحه على حكمته لأنه اختار النوم .. يكذب عليه لكي يستمر في إضاعة الوقت الثمين بالنوم الذي لا يحتاجه .. ويُصدِّقه هذا المسكين ويعتقد أنه أحكم من الذين خرجوا من بيوتهم للعمل :

« الكسلان أوفر حكمة في عيني نفسه من السبعة المجيبين بعقل » (أم ٢٦: ١٦) ..

لكن يا له من غباء ، فقد صار فريسة سهلة للأسد الشرير الحقيقي إبليس الذي سيقضي عليه بنتائج الكسل القادمة حتماً وبسرعة .. الفقر والاحتياج والمذلة (أم ٦: ١١ ؛ ١٣: ٤ ؛ ١٢: ٢٤) ..

تأمل لقد خاف الكسلان من الأسد الوهمي غير الموجود فصار فريسة سهلة للأسد الحقيقي الشرير إبليس ليدمره بالفقر والاحتياج والمذلة ..

قارئي العزيز .. أرجو المعذرة عن هذه المقدمة ، فالكتاب الذي بين يديك ليس عن الكسل **!!** بل هو عن الأسود الوهمية المخيفة التي لا تتواجد سوى في الذهن ، وبسبب تواجدها في الذهن فهي تتيح الفرصة لكي ينشط الأسد الحقيقي الخطير إبليس ويعمل للإيذاء الشديد .. وهناك أسباب أُخرى غير الكسل تجعل الإنسان يتخيل هذه الأسود الوهمية المخيفة ..

ما هي هذه الأسباب ؟ .. أسباب الخوف من الخطر الوهمي ، من أسد في الخارج ليس موجوداً في الواقع بل في الذهن ؟ .. ما هي النتائج المضرة لهذا الخوف ؟ وكيف يمكننا أن نواجهه لنقضي عليه ونتخلص منه فلا نعطي لإبليس الأسد الخطير الحقيقي مكاناً (أف ٤: ٢٧) ؟..

عن هذه الأمور الهامة يحدثك هذا الكتاب بفصوله السبعة من خلال دراسة بعض القصص من كتابنا المقدس العظيم ..

سندرسها ، سنتأملها سوياً بثقة أن الروح القدس « روح الحكمة والفهم » (إش ١١: ٢) سيقدم لنا منها طعاماً طازجاً وشهياً .. وأيضاً دروساً عظيمة متنوعة ..

ولن نتعلم فقط عن الخوف ، فهذه القصص تلمس أيضاً أُموراً أُخرى هامة تمس حياتنا ..

القاريء العزيز ، لتكن كلمات هذا الكتاب كلمات نبوية تلمس قلبك وتساهم في تجديد ذهنك وبناء إيمانك ، اطلب هذا بالاسم الذي هو فوق كل اسم ، اسم المخلص الحبيب الرب يسوع المسيح ..

الأب دانيال

الفصل الأول

عنـــدما تكـــون بعيـــــداً

كان شعب الرب متجهاً إلى أرض كنعان قادماً من مصر عندما اقترب من حدود مملكة موآب.. ظن بالاق ملك موآب أن شعب الرب قادم للهجوم على مملكته والاستيلاء على خيراتها فخاف جداً لأنه كان قد سمع عن قوة شعب الرب وكيف انتصر انتصاراً ساحقاً على فرعون القوي جداً وعلى عماليق العدو الخطير ..

لم يُضيِّع بالاق الوقت فأسرع مستنجداً ببلعام أقوى ساحر في العالم وقتذاك .. استقدمه من بلده البعيد بعد أن أغـــراه بالمـــال الوفيـــر كي يأتي ليلعن شعب الرب أي ليصنع له سحراً قوياً (عد ٢٢: ٦) ، يوجّه ضده أرواحاً شريرة قوية تصيبه بأمراض قاتلة أو تؤذيه بأية أضرار أُخرى شديدة فيضعف ويفقد قوته ..

لم ينجح بلعام بل فشل فشلاً ذريعاً ولم يقدر أن يضر شعب الرب بالسحر .. والمدهش حقاً أن الرب لم يكتفِ بمنعه من أن ينطق بأية كلمات يلعن بها الشعب بل أجبره أيضاً أن يتكلم أمام بالاق في ثلاث مرات بعبارات تتحدث عن امتيازات شعب الرب العظيمة :

- فـــي المـرة الأولـــى قال بلعـــام إنه شـــعب لا مثيل له بين كل الشـــعوب .. لا يقدر أحد أن يلعنه (عد ٢٣: ٨ ، ٩) ..
- وفي المرة الثانية أكد أنه شعب برره الرب (لا يرى الرب آثامه لأنه يقدم الذبائح التي ترمز إلى ذبيحة الصليب) .. ولا يستطيع أي سحر أو عرافة أن يؤذيه وهو شعب منتصر على أعدائه (عد ٢٣: ٢١ ـ ٢٤) ..
- وفي المرة الثالثة شهد بلعام لما فعله الرب بشعبه ، جعله شعباً مبهجاً وغنياً وقوياً كالأسد ، من يباركه يُبارَك ومن يلعنه ملعون (عد ٢٤: ٥ ـ ٩) ..

القاريء العزيز .. إن كل هذه الامتيازات هي أيضاً لك إن كانت لديك علاقة حقيقية بالرب يسوع وباستطاعتك أن تثق كل الثقة أنه لن يقدر أحد أن يلعنك ، أن يؤذيك بالسحر أو بالحسد « كل آلة صُوِّرت [أُعِّدت] ضدك لا تنجح » (إش ٥٤: ١٧) ..

آمن أيضاً أن الرب سيفعل معك نفس ما فعله مع شعبه في قصة بلعام ، فحينما توجد ضرورة سيُصمِت أعداءك عن أن يتكلموا بكلمات تُسيء إليك كما أصمت بلعام وسيجبرهم أن يتحدثوا عنك بكلمات حسنة لخيرك كما أجبر هذا الساحر ..

الخـــــوف

وفي هذه القصة أمر آخر يثير الانتباه ، هو خوف بالاق ملك موآب من شعب الرب .. فلم يكن هناك أي مبرر على الإطلاق لهذا الخوف ، ولم يكن هناك أي مبرر لإنفاقه أموالاً طائلة لإحضار بلعام الساحر من بلده البعيد !! نعم كان شعب الرب قوياً جداً وقد حقق انتصارات عظيمة على كل أعدائه لكنه لم يكن أبداً ينوي أن يهجم على مملكة موآب لأن الرب سبق وأمره بكلمات واضحة « لا تُعادِ موآب ولا تُثِر عليهم حرباً » (تث ٢: ٩) .. لقد تصور بالاق أن الأسد في الخارج ولم يكن هناك أسد !!..

لقد تصرف بالاق ملك موآب نتيجة خوفه من أسد غير موجود إلا في ذهنه .. فماذا خسر ؟ ليس فقط الأموال الكثيرة التي أنفقها لإحضار بلعام الساحر بل أيضاً الإحساس بالإحباط والمرارة ، اسمعه وهو يقول لبلعام :

« لتشتم أعدائي دَعَوْتُك وهوذا أنت قد باركتهم [تحدثت عنهم حسناً] الآن ثلاث دفعات » (عد ٢٤: ١٠) ..

واشتعل غضب بالاق الملك على بلعام وطرده قائلاً « اهرب إلى مكانك [بلدتك] » (عد ٢٤: ١١) ، لكن الرب منع بلعام من أن يخرج في الحال وأجبره للمرة الرابعة أن يتكلم بما يمليه عليه .. وفي هذه المرة أجبره أن يقول لبالاق عما سيفعله شعب الرب بموآب في آخر الأيام :

« يقوم قضيب من إسرائيل [شعب الرب] فيحطم طرفي موآب » (عد ٢٤: ١٧) ..

هذا التحطيم هو نتيجة لعداء شعب موآب لشعب الرب المسالم واستخدامه السحر وإثارة القوى الشيطانية ضدهم ..

تأمل ، لقد أحضر الملك بالاق بلعام الساحر لكي يحمي بالسحر شعبه من خطر وهمي لم يكن موجوداً أي خطر التعرض للهجوم من شعب الرب ، فكانت النتيجة أن الخطر الوهمي غير الموجود صار

خطـراً حقيقياً موجوداً « خوف الشرير هو يأتيه » (أم ١٠: ٢٤) .. فسيحطم قضيب شعب الرب شعب موآب ..

فما أخطر التصرف نتيجة الخوف من خطر وهمي .. وما أخطر اللجوء للطرق الشيطانية كأعمال السحر من أجل الحماية ..

تقول لنا كلمة الله إن الخوف من أخطار وهمية غير حقيقية هو أحد الأمور التي تحدث للبعيدين عن الرب مثل بالاق الملك الوثني .. هذا الخوف هو أحد النتائج المريرة للحياة التي تتجاهل الرب وتستسلم للإثم ، فيجد الإنسان نفسه مُعذباً من خوف لا أساس له يدفعه أن يخطو خطوات تضره جداً وتؤذيه هو وعائلته كما قد يتسبب هذا الخوف في إصابته بأمراض نفسية وأيضاً جسدية ..

شاول الملك

ليس بالاق هو المثال الوحيد الذي تقدمه لنا كلمة الله للبعيدين عن الرب ، لدينا أيضاً شاول الملك .. لقد ابتعد عن الرب وقطع علاقته مع النبي العظيم صموئيل فأصابه الخوف من خطر وهمي ، وعذبه هذا الخوف كثيراً وأضره ضرراً شديداً ..

خـاف شـاول من داود (١صم ١٨: ١٢) واعتقد أنه يخـطط لقتله (١صم ٢٢: ١٣ ؛ ٢٤: ٩) وكان خوفاً من خطر وهمي لا وجود له .. فداود لم يفكر مطلقاً في إيذاء شاول والأحداث العملية برهنت على هذه الحقيقة بما لا يدع أي مجال للشك (١صم ٢٤: ١٨) ..

خاف شاول من داود خوفاً عذبه سنوات أهدر فيها طاقاته ووقتـه لكي يتخلص من داود ، وبرغم ذلك باءت كل محاولاته بالفشل الذريع .. « وكان شاول يطلبه كل الأيام ولكن لم يدفعه الله ليده » (١صم ٢٣: ١٤) .. وبسبب هذا الخوف أساء شاول بشدة إلى أُسرته .. إلى ابنه (١صم ٢٠: ٣٣) وزوجته (١صم ٢٠: ٣٠) وإلى خدام الرب (١صم ٢٢: ١٧ ــ ١٩) .. كما تسبب انشغاله الدائم في ملاحقة داود والبحث عنه في انصرافه عن الاهتمام بمملكته وجيشه فكانت النتيجة الهزيمة الساحقة في معركة جبل جلبوع وسقوطه هو وثلاثة من أولاده قتلى (١صم ٣١: ٦) ..

آه ما أخطر أن نحيا بعيداً عن الرب .. سيصيبنا ما حدث مع شاول .. ستكثر في الخارج الأسود التي تملأ

أذهاننا فتخيفنا وتعذبنا وتدفعنا للإساءة لأحبائنا وأنفسنا ..

يهورام الملك

هذا مثال ثالث لسيطرة الخوف من الأخطار الوهمية على البعيدين عن الرب .. الملك يهورام ابن أخآب وإيزابل الشريرين ، فبرغم كونه ملكاً على مملكة إسرائيل إلا أنه عاش كالملوك الوثنيين « عمل الشر في عيني الرب » (٢مل ٣: ٢) .. ويتضح لنا خوفه من الأخطار الوهمية في هذه القصة التالية ..

كان نعمان رئيس جيش مملكة آرام مُصاباً بمرض البرص الخطير الذي لم يكن له علاج طبي في ذلك الوقت ، وكانت تعمل في بيت نعمان فتاة صغيرة من شعب الرب كانت قد أُخذت أسيرة في إحدى معارك جيش آرام مع مملكة إسرائيل ..

كانت للفتاة علاقة حية مع الرب فدفعها إخلاصها ومحبتها لسيدها نعمان أن تخبر زوجته بقدرة النبي أليشع الذي من شعبها ويعيش في أرضها إسرائيل على شفاء نعمان من مرضه القاتل فقالت لها « ليت سيدي [نعمان] أمام النبي الذي في السامرة [أليشع] فإنه كان يشفيه من برصه » (٢مل ٥: ٣) ..

ذهب نعمان لملك آرام يستأذنه أن يسمح له بالذهاب إلى مملكة إسرائيل لمقابلة أليشع لكي يشفيه ، فأرسل الملك معه رسالة إلى ملك إسرائيل يهورام يقول له فيها :

« قـد أرسـلت إليك نعمان عبدي فاشـفه من برصـه » (٢مل ٥: ٦) ..

انزعج يهورام جداً وخاف ، مزق ثيابه وقال لمستشاريه « اعلموا وانظروا أنه إنما يتعرض لي » (٢مل ٥: ٧) .. أي أن ملك آرام يريد أن يجد سبباً يتعلل به لكي يهجم عليَّ ، فإنني لا أقدر أن أشفي نعمان من هذا المرض القاتل ..

خـاف يهورام من خطر وهمي لا وجود له ، فلم يكن ملك آرام يود الهجوم عليه .. كذلك ولو كان يرغب في ذلك لما أرسل رئيس جيشه ولهجم مباشرة مستغلاً عنصر المفاجأة .. كما أنه أرسل مع نعمان هدية ذهباً كثيراً وفضة وثياباً غالية (٢مل ٥: ٥) .. فلماذا أرسل هذه الهدية الثمينة إذا كان يريد القتال ؟..

الخوف أفسد تماماً تفكير يهورام وجعله يفكر بغباء ويتوقع الشر غير الحقيقي فيرى أن ملك آرام يخطط

للهجوم عليه مع أن الحقيقة التي كان من السهل على أي شخص رؤيتها هي العكس تماماً مما تصوره .. فقد كان ملك آرام يطلب مساعدته في شفاء قائد جيشه نعمان ..

وآسفاه ، لم يكن ليهورام الملك ما كان للفتاة الصغيرة من إيمان ، أن أليشع النبي الذي يعيش بالقرب منه له موهبة الشفاء وقادر باسم الرب أن يشفي نعمان ..

الفتاة الصغيرة آمنت أن الرب لن يخذلها وسيستخدم أليشع في شفاء سيدها ، أما الملك فانزعج وشق ثيابه بسبب الخوف .. إنه الفرق العظيم بين المؤمن الحقيقي ومن لم يعرف الرب !!..

أيها الحبيب ، إن عشت بعيداً عن الرب فسيصيبك ما حدث مع يهورام .. ستصبح فريسة من وقت لآخر لمخاوف الأخطار الوهمية غير الحقيقية .. وهذه المخاوف بدورها ستفسد تفكيرك وستجعلك تتصرف بغباء .. ستفقد السلام ويظهر عليك الاضطراب كما ظهر على الملك عندما مزق ثيابه ..

قد يسألني أحد القراء متعجباً .. ألم تكن توجد بعض الأسباب الواقعية وراء خوف كل من بالاق وشاول ويهورام ؟ .. ألم يسمع بالاق عن قوة شعب الرب وانتصاراته المتتالية على فرعون ثم عماليق وعن اتجاهه صوب كنعان ليمتلكها ؟.. ألم يقل النبي صموئيل لشاول « يمزق الرب مملكة إسرائيل [الذي هو ملكاً عليها] .. ويعطيها لصاحبك » (١صم ١٥: ٢٨) قبل أن يظهر داود في حياة شاول .. وأخيراً ألم يكن الآراميون أعداء لمملكة يهورام ؟ ..

نعم كل هذا صحيح ولكن لو كان لهؤلاء الثلاثة علاقة حيَّة مع الرب لأدركوا أن هذه الحقائق لا تكفي للاقتناع بوجود خطر حقيقي ، فالابتعاد عن الرب يُفسِد الذهن فيفكر بطريقة خاطئة ضارة (أف ٤: ١٧) .. أما المؤمن الحقيقي فالرب يعطيه « الذهن الذي له حكمة » (رؤ ١٧: ٩) الذي يحكم على الأشياء والمواقف حكماً سليماً ، يقول الرسول بولس :

« الله لم يعطنا روح الفشل [الخوف KJV] .. بل روح النصح » (٢تي ١: ٧) ..

لم يعط الرب المؤمنين به « روح الخوف » بل هو من نصيب البعيدين عنه أمثال بالاق وشاول ويهورام .. أما الذين لهم علاقة حقيقية بالرب فقد أعطاهم « روح النصح » [sound mind, KJV]، وكلمة « النصح » هي ترجمة لكلمة يونانية تتحدث عن الذهن الهاديء المتزن في تفكيره إلى جانب التحكم في أفكاره

[Amplified Bible] ..

صفة للبعيدين

إن الخوف من خطر وهمي هو أحد صفات البعيدين الذين ليس لهم علاقة حقيقية بالرب ، يتحدث مزمور ٥٣ عن هؤلاء التعساء فيقول :

« خافوا خوفاً ولـم يكن خوف » (مز ٥٣: ٥) ..

وتقارن كلمة الله بين المؤمن الحقيقي والخاطيء البعيد عن الرب في هذا الأمر قائلة :

« الشرير يهرب [من الخوف] ولا طارد [لا يوجد خطر] أما الصديقون [المؤمنون] فكشبل [أسد] ثبيت » (أم ٢٨: ١)..

وتؤكد الكلمة أن هذا الخوف من الأخطار الوهمية يصيب أيضاً شعب الرب حينما يبتعد عن الرب ويستسلم للخطية :

- « تهربون [من الخوف] وليس من يطردكم » (لا ٢٦: ١٧) ..
- « يهزمهم صوت ورقة مندفعة فيهربون كالهرب من السيف ويسقطون وليس طارد » (لا ٢٦: ٣٦) ..

لا فـــرق

لا يوجد فرق بين بالاق ملك موآب الوثني والملكين شاول ويهورام اللذين من شعب الرب .. فقد كان انتماؤهما لشعب الرب مجرد انتماء شكلي دون معرفة حقيقية بالرب ..

القاريء العزيز .. لا فرق بين شخص مسيحي ليست له علاقة حقيقية حيّة بالرب يسوع ، أي لم يولد من الروح الميلاد الجديد وأي شخص غير مسيحي .. كلاهما لا يتمتع بسلام الرب العجيب الذي يحفظ من الخوف والاضطراب .. كتب الرسول بولس إلى المؤمنين الحقيقيين في كنيسة فيلبي يقول لهم :

« وســـــلام اللـــــه الـــذي يفـــوق كـــل عقـــل [كل توقع] يحفظ [يحرس] قلوبكم وأفكاركم [من

القلق والخوف] في المسيح يسوع » (في ٤: ٧) ..

هل لا تريد أن تنهزم من صوت ورقة ؟!

هل ترغب التخلص من التفكير في الأسد الذي في الخارج ؟!

كن قريباً من الله .. لماذا تظل من البعيدين ..

تسألني أنت ماذا أفعل لكي أصير قريبـاً منه ؟.. والإجابـة لا تفعـل شيئاً ، اقبل فقط ما يقدمه الرب يسوع لك مجاناً .. مجاناً ..

إقرأ معي هذا الحق الثمين الذي تعلنه رسالة بطرس الأولى :

« المسيح .. تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة ليقربنا [نحن الأثمة] إلى الله » (١ بط ٣: ١٨) ..

في لحظة موت الرب يسوع المسيح على الصليب انشق حجاب الهيكل الذي كان يفصل تماماً بين قدس الأقداس مكان الحضور الإلهي وبين الشعب.. وقد كان وجود الحجاب للتعبير عن عدم قدرة الإنسان ، أي إنسان على الاقتراب إلى الله القدوس بسبب خطاياه « أخطأ الجميع » (رو ٥: ١٢) .. أما انشقاقه فكان إعلاناً أن الطريق إلى حضرة الله بات مفتوحاً ..

انتبه معي هنا .. هذا الحجاب لم يشقه إنسان ، فلا أحد يستطيع بسبب أن الكل أخطأ .. الذي شق الحجاب هو البار الوحيد الرب يسوع وقد شقه بآلامه وموته الكفاي على الصليب ..

هل أنت من الأثمة ؟.. افرح جداً ، فالرب تألم وسفك دمه ومات من أجل آثامك ليشق الحجاب ليقربك إلى الله ..

هيا تعال إليه الآن لتتمتع بالقرب من الله ، إنه يقول « من يُقبِّل إليَّ لا أُخرجه خارجاً » (يو ٦: ٣٧) ..

تعال إليه الآن واثقاً أنه شق بآلامه الحجاب من أجلك وفي هذه اللحظة تصير قريباً من الله ..

لا تسمح أبداً لإبليس أن يشككك ، تمسك بما تقوله رسالة أفسس :

« أنتم الذين كنتم قبـــلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح » (أف ٢: ١٣)..

نعم ، بدم المسيح صرت قريباً .. وليس بمجهودك ..

نعم بإيمانك بدم المسيح الكريم أنه أزال كل خطايا الماضي والحاضر والمستقبل صرت قريباً ، ولك أن تتمتع بعلاقة حيّة مستمرة معه وتقول مع المرنم « أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي » (مز ٧٣: ٢٨) ..

سيدي الحبيب ..

أشكرك لأني أنا البعيد

صرت قريباً بدمك الثمين ..

الفصل الثاني

عنــدما نتصــرف كجســديين

هل تتذكر ما حدث حينما دمر الرب سدوم وعمورة ؟.. كان لوط وهو واحد من المؤمنين يسكن في مدينة سدوم ، فأرسل إليه الرب ملاكين لكي يُخرجاه من هذه المدينة الشريرة قبل أن تحترق بالنار ..

ألح الملاكان عليه أن يهرب بسرعة من المدينة ويتجــه إلى الجبــل القــريب « اهرب إلى الجبل » (تك ١٩: ١٧) لكنه أجابهما بغرابة شديدة « لا يا سيد » (تك ١٩: ١٨) .. انظر التناقض ، يُجيب لوط على الملاكين أو بلغة أدق على الرب الذي أرسلهما بكلمة « لا » وفي ذات الوقت يقول له « يا سيد » أي يا من لك السيادة على حياتي والسلطة أن تأمرني ..

إنه التناقض الذي يُحدِثه الخوف فينا عندما نستسلم له .. نقول للقدير أنت أبونا وفي ذات الوقت نتصرف كما لو كنا يتامى ليس لدينا من يحامي عنا !!.. لقد خاف لوط من أذى يصيبه في الجبل أو في الطريق إليه .. قال « لا يا سيد... أنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل . لعل الشر يدركني فأموت » (تك ١٩: ١٨، ١٩) .. هذا الشر هو شر لا يوجد سوى في عقل لوط ، فمن غير الممكن أن يرسله الرب إلى مكان غير آمن .. كان لسان حال لوط يردد « الأسد في الخارج .. الأسد في الخارج!! » ..

لكن حالة لوط تختلف اختلافاً جذرياً عن بالاق وشاول ويهورام الذين تحدثنا عنهم في الفصل السابق .. لوط كان مؤمنــاً حقيقيــاً ولا شــك في ذلك ، رسالة بطرس الرسـول الثانية تقول عنه إنه « بــار » وإن « نفســه بارة » (٢ بط ٢: ٧، ٨) .. فلقد كان له لقاء حقيقي مع الرب ، آمن بقلبه بالرب مثل إبراهيم عمه فنال كإبراهيم عطية البر (رو ٥: ١٧) ، البر الذي من الله بالإيمان (في ٣: ٩) .. لكنه لم يحيـا مثل إبراهيم في علاقة حميمة مع الرب ..

لوط يختار

بدأ لوط حياته مع الرب بالإيمــان القلبي به « القلب يؤمن به للبر » (رو ١٠: ١٠) لكنه للأسف لم

يستمر في حياته معتمداً على الإيمان بل استسلم للمنطق الطبيعي ولم يُدخِل الله في حساباته وهو يتخذ قراراته الهامة .. يمكنك أن ترى هذا واضحاً بعدما ترك الحياة مع عمه إبراهيم ، فلم يهتم بمعرفة مشيئة الرب فيما يتعلق بمكان إقامته ، أين يريده الرب أن يسكن .. للأسف الشديد لم يستشر الرب في هذا الأمر الهام للغاية .. لنقرأ معاً ما قاله سفر التكوين :

« رفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن [المنطقة التي بها مدينتي سدوم وعمورة] أن جميعها سقي [تصل إليها المياه] .. كجنة الرب [أي أنها غاية في الجمال مثل جنة عدن التي سمع عنها] كأرض مصر [وغنية جداً كمصر التي زارها في وقت سابق مع عمه إبراهيم] .. فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل لوط [إلى سدوم].. » (تك ١٣: ١٠، ١١) ..

انظر لقد اختار لوط لنفسه مدينة سدوم أي أنه لم يدع الرب يختار له ، ولم ينتظر كي يعرف هل يوافق الرب على هذا الاختيار أم لا فارتكب أفدح الأخطاء .. أُعجِب بمدينة سدوم بينما كان الرب غاضباً جداً عليها .. اختار أن يعيش بها منخدعاً بجمالها وثروتها وتجاهل تماماً حالة سكانها البشعة أن « خطيتهم قد عظمت جداً » (تك ١٨: ٢٠) ، وأنهم « خطاة لدى الرب جداً » (تك ١٣: ١٣) .. ولم يدرك لوط بسبب ضعف شركته مع الرب أن قضاء الرب العادل كان في طريقه إليها ليمطرها بنار وكبريت من السماء ..

اختار لوط لنفسه أن يحيا في مدينة سدوم وأول نتائج هذا القرار الخاطيء أنه عاش حياة تعيسة رغم أنه اغتنى جداً وصار واحداً من رجالها المرموقين الذين يجلسون في بابها مع الذين يجرون أحكام القضاء في المدينة (تك ١٩: ١) ، تقول لنا رسالة بطرس الثانية :

« إذ كان البار [أي لوط] بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم [بين أهل سدوم] يُعذِّب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة » (٢بط ٢: ٨) ..

كان ضميره يعذبه وهو يرى يومياً في الشوارع الأفعال الفاضحة لسكان المدينة ويسمع كلماتهم المستبيحة .. ومن البديهي أن نسأل لماذا لم يرحل سريعاً من هذه المدينة الفاجرة حتى ينجو من هذا العذاب اليومي المتواصل وحتى يُجنِّب أولاده وبناته الزواج من سكانها ؟ ..

والإجابة في كلمات قليلة ، أنه كان خائفاً من نتائج هذه الخطوة ، فلم يكن لديه الإيمان أن الرب سيعوضه أضعافاً عن الخسائر المادية الكبيرة التي سيتكبدها إذا ترك سدوم ، ولم يكن يثق أن الله سيكافئه كثيراً على

خروجه من هذه المدينة الشريرة ..

كانت الأمور المادية في نظره أهم بكثير من الأمور الروحية .. المال أهم من راحة ضميره ، المركز المرموق في المدينة أهم من مستقبل أولاده وأحفاده في علاقتهم بالرب .. تسمي رسالة كورنثوس الأولى مثل هذا المؤمن الذي يحيا كما لو كان جسداً فقط وليس روحاً يسكن في جسد بالمؤمن الجسدي وتقول الرسالة إن المؤمن الجسدي يسلك مثل غير المؤمنين (١كو ٣: ١) ..

انتصار الخوف

كان لوط مؤمناً جسدياً ولذا انتصر عليه الخوف ويظهر هذا بوضوح كما رأينا عندما أرسل إليه الرب الملاكين ليلة تدمير المدينة ليحثاه على الهروب منها واللجوء إلى الجبل القريب قبل أن تضيع فرصة الإنقاذ .. ولنعود مرة أُخرى إلى سفر التكوين ليقص علينا ما حدث :

> « ولما طلع الفجر كان الملاكان يُعجِّلان لوطاً قائلين قم خُذ امرأتك وابنتيك الموجودتين [واخرج] لئلا تهلك بإثم المدينة ..
>
> ولما توانى [لوط] أمسك الرجلان [الملاكان] بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة » (تك ١٩: ١٥ ، ١٦) ..

هنا لا يسعني إلا أن أُردد كلمات المرنم أيثان في مزموره ٨٩ :

> « بمراحم الرب أغني » (مز ٨٩: ١) ..

لقد تعامل الرب مع لوط برحمة لا نظير لها !!

لم يتركه الرب يهلك مع هذه المدينة سدوم على الرغم من أنه هو الذي اختار أن يعيش فيها دون أن يستشير الرب .. بل أنظر وتعجب ، في الوقت العصيب الحرج يتوانى لوط عن الخروج ، فيشفق عليه الرب ويأمر الملاكين أن يُمسكا بيده ويحملانه دون انتظار موافقته إلى خارج المدينة المنكوبة التي كانت ستشتعل في غضون لحظات بنار لم تهدأ حتى أفنتها تماماً ..

نعم ليس مثل الرب في محبته لأولاده ، حتى وهم متخاذلين بسبب الخوف ، قد يتدخل وينقذهم ..

ونعود إلى لوط ، بعد أن صار خارج مدينة سدوم سمع الرب يقول له عن طريق الملاكين :

« اهرب لحياتك . لا تنظر إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة [منطقة سدوم وعمورة]. اهـرب إلى الجبـل لئلا تهــلك » (تك ١٩: ١٧) ..

اعتراض مشين

وآسفاه ، بدلاً من أن يجري لوط بكل قوته نحو الجبل وهو يشكر الرب لأنه تعامل معه برحمة عظيمة اعترض وأجاب :

« لا يا سيد .. أنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل . لعل الشر يدركني فأموت » (تك ١٩: ١٨، ١٩) ..

يا لغباء لوط ! بل يا للغباء الذي يصيب كل مؤمن جسدي !.. كيف تصور لوط أن الله أنقذه من الموت في سدوم بملائكة لكي يرسله إلى الجبل ليُقتل فيه ؟! ..

لا ، لن يُقتَل فمن المستحيل تماماً أن يوجد في الجبل أو في الطريق إليه أي شر يؤذي لوطاً ..

لقد خاف لوط خوفاً لا أساس له .. خوفاً من خطر وهمي من أسد ليس له وجود سوى في ذهنه ..

صوغــر أم الجبــل ؟

ولم يكتفِ لوط برفض طلب الرب ، توسل إليه أن يسمح له بالذهاب إلى مدينة صغيرة اسمها صوغر « هوذا المدينة هذه قريبة للهرب إليها وهي صغيرة . أهرب إلى هناك .. فتحيا نفسي » (تك ١٩: ٢٠) ..

واستجاب الرب لطلب لوط وسمح له أن يذهب هو وابنتاه إلى صوغر .. لكن هل تخلص لوط من الخوف بعد أن ذهب إلى هذه المدينة التي اختارها ؟ كلا .. كلا .. لقد خاف من خطر آخر ، خاف من أهل هذه المدينة فانطلق هارباً منها بعد فترة وجيزة .. ومن العجيب أنه قرر الذهاب إلى ذات الجبل الذي رفض أن يذهب إليه من قبل !!..

هرب من مدينة صوغر التي اختارها ..

وذهب إلى الجبل الذي رفضه ..

ما المعنى ؟ إن ذهابه إلى صوغر بسبب الخوف لم يكن له أية فائدة على الإطلاق ، بل على العكس كان وجوده بها مضيعة لوقته وإنهاكاً له ولابنتيه بلا مبرر ..

إن خوف لوط من الذهاب إلى الجبل هو مثال لخوف المؤمن من خطر وهمي وأسد غير موجود .. فالجبل كان مكاناً آمناً تماماً لأن الرب هو الذي اختاره ولهذا ذهب إليه لوط أخيراً ..

القاريء الحبيب ، ضع هذا الحق في قلبك ، إن المكان الآمن هو المكان الذي يختاره لك الرب وليس الذي تختاره أنت ..

ولماذا سقط لوط في فخ الخوف ؟.. لأن الروح القدس لم يكن يعمل فيه ليحميه من هجوم الخوف على ذهنه ومشاعره ويهبه القدرة للانتصار عليه .. ولماذا لم يعمل فيه الروح ؟.. لأنه لم يكن مؤمناً روحياً بل جسدياً نال الحياة من الله لكنه لم يحيا بقوة هذه الحياة ولم يسمح للروح أن يعمل فيه .. لقد اتخذ لوط قراراته وهو ينظر أولاً إلى مصالحه المادية وليس إلى تأثير هذه القرارات على علاقته مع الرب ..

التناقــض

المؤمن الجسدي عادة ما يكون مثل لوط متناقضاً مع نفسه يعترف بالرب يسوع أنه سيده وملكه مثلما قال لوط للرب « يا سيد » ، وربما يعلن هذا بحماس من خلال الترانيم ، لكنه في الحياة العملية يرفض أن يطيع الرب في كثير من الوصايا بسبب الخوف مثلما فعل لوط ورفض أن يطيع الرب ويذهب إلى الجبل ..

وفي العادة تسيطر على ذهن المؤمن الجسدي مخاوف لا أساس لها تدفعه إلى فعل أُمور تضره جداً ..

لا تنس قارئي أن لوطاً سقط في فخ الخوف من خطر كاذب وهمي ، خطر الأذى في الجبل الآمن الذي من اختيار الرب بسبب أنه كان مؤمناً جسدياً فتصرف بغباء مُضيِّعاً وقته وجهده ..

ارفض أن تكون مؤمناً جسدياً مثل لوط برفضك هذه الأمور السلبية :

- ارفض أن تسلك بالعيـان وليـس بالإيمان .. فلا تبني قراراتك معتمداً على الأمور المنظورة فقط بل أولاً على سماعك لصوت الرب (اقرأ كتاب يقودني) ..

- ارفض أن يكون اهتمامك الأول لأمورك المادية ، ليكن لأمورك الروحية فهي الأهم ..

- ارفض الاستمرار في أي خطية ، وإن حدث وسقطت أعلن بسرعة توبتك بالاعتراف فوراً للرب وطلب المعونة منه لكي لا يتكرر سقوطك ..

وكن مؤمناً روحياً بحرصك على هذه الأمور الإيجابية :

- احرص على شركتك اليومية مع الرب من خلال الصلاة وقراءة الكلمة وأعط وقتاً للكتب الروحية النافعة ..

- احرص على مشاركة المؤمنين أوقات العبادة ودراسة الكلمة والتقدم إلى المائدة .. ليكن لهذه المشاركة الأولوية ..

- احرص أن تساهم في عمل الرب ..

- ولتكن طلبتك الدائمة أن تستمر مؤيداً بقوة الروح القدس ..

فلنرفض أن نكون مؤمنين جسديين ولنحرص أن نكون روحيين لكي لا نسقط في فخ الخوف من الأخطار الوهمية التي لا أساس لها ..

ولنحذر الاستسلام لهذا الخوف متى هاجمنا .. لنقاومه لأنه يقود إلى خطوات لا فائدة منها تهدر طاقاتنا وأوقاتنا ..

قارئي العزيز .. إن كانت علاقتك بالرب هذه الأيام علاقة فاترة ، فدعني أؤكد لك إنها ليست صدفة أنك تقرأ هذه السطور .. أنت في خطر السقوط في هذا الفخ المؤذي .. الخوف من خطر وهمي من أسد غير موجود سوى في ذهنك .. لا تؤجل ، تعال إلى الرب الآن معترفاً له بفتورك طالباً منه أن يشعل قلبك بالحب له .. أن يملأك بالروح القدس ، لتتحول إلى مؤمن روحي تتمتع يومياً ببهجة التواجد في محضر الرب الذي يحبك .. تثق فيه دائماً فلا تسقط في فخ الخوف من الأخطار الوهمية المؤذي ..

الفصل الثالث

قد يأتي من العائلة !!

إسحق .. هذا المؤمن العظيم الذي تحدثت عن إيمانه الرسالة إلى العبرانيين (عب ١١: ١٣، ٢٠) هو أيضاً سقط في فخ الخوف من الخطر الوهمي من الأسد غير الموجود وسيطر عليه هذا الخوف فجعله يكذب بل ويستمر في الكذب إلى أن ظهر كذبه للناس ..

لقد طلب الرب من إسحق أن يسكن في منطقة جرار ووعده بأن يكون معه ويباركه ، قال له :

« تغرب في هذه الأرض [جرار] . فأكـون معك وأباركك » (تك ٢٦: ٣) ..

أطاع إسحق وسكن في هذه المنطقة التي كان يملك عليها أبيمالك الملك الوثني ، وهناك سأله سكانها عن رفقة مَنْ تكون فخاف إسحق أن يخبرهم أنها زوجته لئلا يفكر أحدهم في قتله حتى يتزوجها إذ كانت على درجة عالية من الجمال ..

خاف إسحق من القتل فكذب وقال إنها أُخته (تك ٢٦: ٧).. ياللخزي! يكذب ويضحي بامرأته خوفاً على نفسه .. لا يكترث بإمكانية حـــدوث خطيـة بشـعة إذا تزوج شخص آخـر برفقه وهو لا يزال على قيد الحياة .. وأيضاً لا يبالي بما يمكن أن تقاسيه زوجته من آلام نفسية صعبة إذا تحقق ذلك بالفعل ..

لقد سقط إسحق في هذه خطايا الكذب والأنانية وإيذاء زوجته لأنه ببساطة لم يقاوم الخوف ، وحين لا نقاوم الخوف نضعف أمامه فيسيطر علينا ويدفعنا إلى ارتكاب مثل هذه الخطايا ..

كان بإمكان إسحق أن يقاوم الخوف ويهزمه وبالتالي لا يكذب ولا يتصرف بأنانية لو أنه واجهه بالوعد الذي سبق الرب وأعطاه له .. لقد وعده الرب أن يكون معه وهو في منطقة جرار ويباركه فكيف تصور أن الرب سيتركه لواحد من سكانها لكي يقتله ويتزوج بامرأته ؟!! ولو كان إسحق قد انشغل بهذا الوعد وتمسك به كلما هاجمه الخوف من القتل لما تمكن منه الخوف أبداً ولاحتفظ بطمأنينته ولم يلجأ إلى الكذب .. فالانشغال بوعود الرب يبني الإيمان في القلب (رو ١٠: ١٧) ويحفظه من الخوف .. يقول داود :

« الله أفتخر بكلامه [بوعوده] ..

على الله توكلت فلا أخاف . ماذا يصنعه بي البشر ..

الله أفتخر بكلامه الرب أفتخر بكلامه » (مز ٥٦: ٤ ، ١٠) ..

يكرر خطايا أبيه

المدهش حقاً والمحزن جداً أن ما فعله إسحق هو تكرار لما قام به إبراهيم أبوه في مناسـبتين سابقتين .. فعندما ذهب إبراهيم إلى مصر هرباً من المجاعة خاف هو أيضاً أن يُقتل بسبب سارة زوجته !! خاف أن ينجذب المصريون إليها بسبب جمالها فيقتله أحدهم لكي يتزوجها فكذب وقال عنها إنها أخته وليست زوجته (تك ١٢: ١١ ــ ١٣) !!.. خاف إبراهيم ولم يكن هناك ما يدعو للخوف إذ كان الرب قد وعده بأنه سيكون له نسل (تك ١٢: ٢، ٧) ، وهو في ذلك الوقت حين ذهب إلى مصر لم يكن قد أنجب بعد ..

لم يتمسك إبراهيم بهذا الوعد أنه لن يموت قبل أن يكون له ابن فخاف وخدع المصريين نتيجة لخوفه مضحياً بزوجته ومعرضاً نفسيتها للإيذاء الشديد .. وقد تركه الرب يتألم من نتائج هذه الخطايا بعض الوقت لكي يبغضها ولا يكررها ..

لكن بعد مرور عشرين عاماً كان قد نسي الدرس فكرر ذات ما فعله عندما ذهب إلى منطقة جرار .. مرة أُخرى خاف أن يُقتل ومرة أُخرى كذب وخدع أهل جرار مُظهراً أن سارة ليست زوجته (تك ٢٠: ٢) ..

انظر لقد سقط إبراهيم في هذه الخطايا مرتين وفي كل مرة استخدم الرب الألم ليلقنه هذا الدرس الهام ، أن غياب الإيمان بالوعود يجلب الخوف ويُنتِج الكذب ويُظهر الأنانية ويقتل الحب ..

وها هو إسحق ابنه يسقط مثله وبنفس الطريقة إذ انتقل إلى ذهنه الأسد المخيف الذي كان يسكن في رأس أبيه ..!! وماذا نتعلم هنا أنا وأنت قارئي العزيز ؟ ..إن إبليس دائماً ما يحاربنا لكي نسقط في ذات الخطايا التي أسقط فيها آباءنا وأجدادنا من قبل حتى نكون امتداداً لهم..

القاريء العزيز .. إبليس ليس قوياً حتى نستسلم له ونحقق مشيئته ونسلك في الخطايا التي أتعب بها آباءنا وأجدادنا .. هللويا لقد أصبح أمامنا قزماً ضعيفـــاً منذ أن سحقـــه الرب في معركـــة الصليب المجيـــدة (كو ٢: ١٥ ، عب ٢: ١٤) .. هيا ارفع صـــوتك عالياً وقُل : إبليس فاشل ، باسم الرب يسوع لن يقدر أن يجعلني امتداداً لآبائي وأجدادي في أُمورهم السيئة .. قُل أيضاً باسم الرب يسوع لن

تقدر أن تقوى عليّ أية أرواح شريرة نجحت في السيطرة على آبائي وأجدادي من قبل ..

تأثير العائلة

والبعض ينشأ في عائلات يسيطر عليها الهم والخوف أو صغر النفس أو الكذب فتنتقل إليهم هذه الصفات وتصير من سمات شخصياتهم .. هؤلاء عليهم أن يرفضوا أن يكونوا مثل عائلاتهم .. رجاء لا تقل صعب أن أتغير فهذه هي شخصيتي .. ثق في الرب أنه يريد أن يحررك تماماً من هذه الصفات العائليـة السـيئة .. ألم تسمع ما قاله الرب في مجمع الناصرة إنه جاء إلينا لينادي للمأسـورين بالإطـلاق (لو ٤: ١٨) ؟.. ألا تعرف كلماته الخالدة « إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحـراراً » (يو ٨: ٣٦) ؟..

تعال إليه الآن بثقة أنه سيحررك تماماً من سلطان الخوف والهم وصغر النفس ولن يخذلك ، سيعمل معك عملاً عظيماً لتحيا حياة المجد التي يريدها لك والتي دفع ثمن حصولك عليها كاملاً بآلامه على الصليب ..

أيضاً المجتمع

قد يتحول المؤمن أيضاً إلى شخص يخاف كثيراً بسبب أنه لم يأخذ حذره من خطورة تواجده في مجتمع يتسم بالخوف أو لمصاحبته لوقت طويل لأشخاص مصابين بهذا الضعف .. لقد كتب الرسول بولس رسالته الأولى إلى مؤمني كورنثوس ليواجه بكلمة الرب الأمراض الخطيرة التي انتقلت إليهم من سلوكيات الناس في مدينة كورنثوس ، كما وجه رسالته إلى تيطس كي يحذره من انتقال الكذب الذي يميز مدينة كريت إلى المؤمنين الذين يعيشون بها (تي ١: ١٢) ..

لذا انشغل صديقي يومياً بكلمة الرب فهي التي تقدر أن تحميك من تأثير احتكاكك الاضطراري بالخائفين ، كما أنها قادرة أن تعالج ما أصابك من خوف .. فبانشغالك بما قالته الكلمة عن حماية الرب للمؤمن تجدد ذهنك وتزيل منه الميل للخوف الذي انتقل إليك وجعلك تتوهم وجود الأسود حولك باستمرار ..

الكذب لا ينفع

انهزم إسحق وإبراهيم من الخوف من خطر وهمي من أسد غير موجود فلجئا إلى الكذب وهنا دعنا

نتوقف قليلاً لنتكلم عن هذه الخطية الخطيرة التي يستهين بها الكثيرون :

- أولاً .. هي خطية يبغضها الرب جداً :

« كراهة الرب شفتا كذب » (أم ١٢: ٢٢) ..

« [يقول الرب] فم الأكاذيب أبغضت » (أم ٨: ١٣) ..

فإن كنت تحب الرب فلتكره وتبغض الكذب الذي يكرهه ويبغضه « الصدِّيق يبغض كلام كذب » (أم ١٣: ٥) ، « أبغضت الكذب وكرهته» (مز ١١٩: ١٦٣) ..

- ثانياً .. هي الخطية التي تنتشر أكثر من غيرها في كل أرجاء العالم وتميز حياة الذين لا يعرفون الرب :

« كذِب بنو البشر » (مز ٦٢: ٩) ..

« أنا قلت في حيرتي كل إنسان كاذب » (مز ١١٦: ١١) ..

إن كنت تؤمن أنك وُلِدت الميلاد الثاني فانفصلت به روحياً عن عالم الخطاة وصرت من أولاد الله ، فلتثق أنه بقوة الروح القدس لن تكون كذاباً كغير المؤمنين بكذب أبيض أو أسود بل ستكون مثل بولس الذي قال عن نفسه « أقول الصدق في المسيح . لا أكذب » (رو ٩: ١) .. أبداً لن يكون الكذب وسيلتك للنجاح أو الإنقاذ ..

- ثالثاً .. هي الخطية التي يشجعها بشدة إبليس لنتائجها المدمرة « متى تكلم [إبليس] بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب » (يو ٨: ٤٤) ..

فلتُظهر بغضتك لإبليس من خلال بغضتك للكذب الذي يروّج له ..

- رابعاً .. الكذب لا ينفع بل يضر :

« لسان الكذب إنما هو إلى طرفة العين [أي يحيا لمدة قصيرة] » (أم ١٢: ١٩) ..

« جمع الكنوز بلسان كاذب هو بخار مطرود [لا يبقى] لطالبي الموت [من يكذب هو يبحث عن الموت]

» (أم ٢١ : ٦) ..

الكذب لا يُنجِّي ولا يفيد بل يضر جداً .. الذي يُنجِّي حقاً هو الرب .. لقد صرخ يونان حين كان في خطر قائلاً « للرب الخلاص [الإنقاذ] » (يون ٢: ٩) وكذلك فعل حزقيا الملك ورفع صوته قائلاً « الرب لخلاصي [لإنقاذي] » (إش ٣٨: ٢٠) .. وبالطبع لا ننسى كلمات داود الرائعة :

« الرب نوري وخلاصي [إنقاذي] ..

الرب حصن حياتي ممن ارتعب .

إن نزل عليَّ جيش لا يخاف قلبي .

إن قامت عليَّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن » (مز ٢٧: ١ ، ٣) ..

التوبيخ

نعود إلى إسحق .. لقد اكتشف أبيمالك الملك أنه كاذب وعرف الحقيقة أن رفقة ليست أُخته بل هي زوجته ، فهل حدث ما كان يخاف منه إسحق ؟.. هل قتله أبيمالك لكي يتزوج برفقة أو سمح لأحد من شعبه راغباً في الزواج بها أن يقتله ؟ كلا .. كلا لقد كان إسحق يمتليء بخوف من خطر وهمي لا مبرر له ، يخشى أسداً لا يوجد إلا في ذهنه ، فلم تكن سلوكيات أبيمالك وشعبه قد انحدرت إلى هذا المستوى المتدني أخلاقياً ولذا وجّه له أبيمالك كلمات اللوم المؤلمة قائلاً :

« إنما [رفقة] هي امرأتك . فكيف قلت هي أختي »

(تك ٢٦: ٩) ..

فأجابه إسحق معترفاً بكذبه وخوفه وتضحيته بها :

« لأنـــي قلـــت لعلي أموت بسببها » (تك ٢٦: ٩) ..

فواصل أبيمالك لومه لإسحق قائلاً :

« ما هذا الذي صنعت بنا . لولا قليل لاضطجع أحد
الشعب مع امرأتك [على اعتبار أنها غير متزوجة]
فجلبت علينا ذنباً » (تك ٢٦: ١٠) ..

تأمل أبيمالك رغم أنه كان ملكاً وثنياً لكنه كان يؤمن بأن سماحه لرجل من شعبه أن يتزوج بامرأة متزوجة (حتى وإن كان لا يعلم) يجعل مملكته مُذنِبة أو بكلمات أُخرى يُعرِّضها للعنة .. ولنا أن نندهش ونحن نقارن بين هذا الفهم الذي كان يتمتع به هذا الملك الوثني من العصور القديمة وبين ما يفعله سياسيون معاصرون يسمحون بزواج الشواذ جنسياً غير مدركين التوابع المؤذية لهذا الزواج النجس على بلدانهم ..

الخـــزي

نتساءل ماذا كان إحساس إسحق وهو يسمع كلمات الملك الوثني التي أظهرته شخصاً كاذباً وجباناً وأنانياً يضحي بزوجته ويُسيء الظن بالناس ؟..

لم تخبرنا كلمة الله بمدى إحساس إسحق بالخزي وهو في حضرة الملك يستمع إلى عباراته الموبخة لكنه لا يصعب علينا أن نتخيل أنه كان إحساساً فظيعاً .. ولا ننسى أن إبراهيم أباه سمع هو أيضاً كلمات موبخـــة مُوجِعـــة لا تقل قسوة حينما ارتكب نفس الخطـايا .. لقد قال له الملك « أعمالاً لا تُعمَل عملت بي » (تك ٢٠: ٩) !!.. وآسفاه كيف لم يستفد إسحق مما حدث لأبيه فتعرض مثله للتوبيخ ..

آه ما أصعب هذا الأمر أن يتعرض مؤمن له علاقة حيّة مع الرب كإبراهيم وإسحق إلى توبيخ من إنسان لا يعرف الرب ويكون هذا الإنسان على حق ..

القاريء العزيز .. إن كنت لا تزال تلجأ للكذب لكي تنجو بنفسك حينما تكون معرضاً للأذى فلتأتِ الآن إلى الرب .. اعترف له بكذبك وعدم استنادك على وعوده وأنك تريد أن تتخلص من هذه الخطية ..

إن الكذب هو إحدى الثمار المُرة لشجرة الخوف .. فلكي تتحرر من الكذب لابد أن تنتصر على الخوف ، ولن تنتصر عليه إلا بالإيمان .. الإيمان بوعود الرب لك بالحماية ، ولاشك أن الرب سمح لكل من إسحق وأبيه إبراهيم أن يسمعا كلمات موبخة من ملكين وثنيين لكي يتعمق فيهما هذا الدرس ..

هل يهاجم الأسد ذهنك وهل ينجح أن يستقر بداخله فتقاسي من الخوف وتفقد الإحساس بالأمان والطمأنينة ؟ ..هل يدفعك الخوف للكذب لكي تحمي نفسك ؟ .. لا ، لا تستسلم له فبإمكانك أن تنتصر عليه وتتخلص منه ، فلتواجه بوعود الرب هذا الأسد ، فالوعود قادرة أن تسحقه..

هل قرأت مزموري ٣٤ و ٩١ ؟.. إن بهما بعضــــاً من هذه الوعود الثمينة :

- « ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم » (مز ٣٤: ٧) ..
- « كـثيرة هـي بلايـا الصدِّيق ومن جميعها ينجيـه الـرب » (مز ٣٤: ١٩) ..
- « لأنه تعلق بي أُنجيـه . أُرفِّعه لأنه عرف اسمي . يدعوني فأستجيب له . معه أنا في الضيق . أُنقذه وأُمجده » (مز ٩١: ١٤، ١٥)..

انشغل بهذه الوعود وأمثالها ورددها كثيراً .. تأملها واشكر الله من أجلها وواجه بها الأسد حينما يهاجم ذهنك .. اطرد بها كل أفكار الخوف ولن تهزمك أبداً ولن تقدر أن تُسقِطك في خطية الكذب أو غيرها..

المفاجـــأة

لم تنته قصة إسحق مع أبيمالك عند توبيخ الملك له ، لقد فوجيء إسحق أن الملك يصدر قراراً لحمايته هو ورفقة زوجته :

« فأوصى أبيمالك جميع الشعب قائلاً الذي يمس هذا الرجل [إسحق] أو امرأته [رفقة] موتاً يموت » (تك ٢٦: ١١) ..

يا لها من مفاجأة سارة .. الرب لا يحفظه فقط من أبيمالك الملك بل يُسخِّره لحمايته ..

قارئي الحبيب ، ما كان مفاجأة سارة لإسحق إنما هو امتياز مُقدَّم لك إن كنت في علاقة حقيقية مع الرب يسوع .. الرب يستخدم الملوك وكل الذين هم في منصب من أجل سلامتك وخيرك ..

هيا اختم معي هذا الفصل وأنت تتكلم بكلمات الإيمان بحسب الآية القائلة « آمنت لذلك تكلمت » (٢كو ٤: ١٣) ..

هيا قل بصوت عالي :

باسم الرب يسوع لن أكون في أي وقت

مُستعبداً للكذب بسبب الخوف ..

وباسم الرب يسوع لن

يسيطر عليَّ الخوف أبداً ..

وباسم الرب يسوع لن ينتقل إليَّ

الخوف من عائلتي أو أصدقائي ..

الفصل الرابع

عندما نخاف ألا تتحقق الوعود

شعر إسحق أن ساعة موته قد اقتربت فأراد أن يبارك ابنه الأكبر عيسو لينقل إليه البركة العظيمة التي نالها من أبيه إبراهيم .. أراد أن تسري هذه البركة في عيسو وفي نسله ليأتي منه المخلص العظيم الذي وعد به الرب أنه سيسحق رأس الحية الشيطان (تك ٣: ١٥) ..

دعا إسحق عيسو وطلب منه أن يذهب ويصطاد حيواناً (تك ٢٧: ٣) ويصنع منه طعاماً ثم يأتي إليه بهذا الطعام ليأكله وبعد ذلك يباركه بهذه البركة العظيمة ..

عرفت رفقــة زوجة إسحق بما حدث فأسرعت وأخبرت ابنهما الأصغر يعقوب الذي كانت تحبه أكثر من عيسو .. ارتبك يعقوب وخاف ، اعتقد أنه إذا حدث هذا وبارك أبوه أخاه عيسو فإن الوعود العظيمة التي أعطاها الرب لإبراهيم سوف تتحقق في عيسو ونسله وسيُحرم منها هو وأولاده ..

أخطأ يعقوب في تفكيره ولم يكن هناك ما يدعو للارتباك والخوف فمنذ زمن طويل أعلن الرب لرفقة أن يعقوب وليس عيسو هو الذي سينال البركة العظيمة .. هو الذي ستتحقق فيه وفي نسله هذه الوعود العظيمة (تك ٢٥: ٢٣) .. هو الذي سيكون امتداداً لأبيه إسحق وجده إبراهيم ..

لكن للأسف بدلاً من أن يتشبث يعقوب بهذا الإعلان وينتظر بإيمان أي بهـدوء وسلام ما سيفعله الرب لكي ينقل إليه هذه البركة العظيمة ، حاول أن ينالها بطرق بشرية !! ولم تكن بالطبع طرقاً نقية بل ملوثة بالأنانية والخداع ..

لنتذكر أولاً تفاصيل هذه القصة ، عندما جاع أخوه عيسو لم يقدم له الطعام مجاناً كما هو دائماً متوقع أن يحدث بين الإخوة ولم يُظهر له المحبة .. بل وجدها فرصة لن تتكرر فاستغل جوع أخيه واشترى منه حق البكورية (امتيازات الابن الأكبر) مقابل أن يقدم له خبزاً وطبقاً من العدس .. كان بحق إنساناً أنانياً وانتهازياً في هذا الموقف ..

وهاهو الآن يكرر الأمر ويعتمد على الطرق البشرية لكي يجعل أباه إسحق يباركه بهذه البركة العظيمة بدلاً من عيسو .. انتهز فرصة أن إسحق لم يعد يرى بسبب شيخوخته ، فدخل إليه متقمصاً شخصية عيسو

فانخدع إسحق وباركه بدلاً منه .. وللأسف الشديد لقد ساعدته أمه رفقة كثيراً في الإعداد لهذا العمل المشين لأنها كانت تحبه أكثر من أخيه ..

أحضرت رفقة ليعقوب ثياب عيسو فارتداها بهدف أن تفوح منه رائحته التي كان إسحق يحبها ، كما ألبست رقبته ويديه جلود ماعز مليئة بالشعر حتى تبدو مثل رقبة ويدي عيسو ، وأعدت ليعقوب طعاماً كالذي طلبه إسحق من أخيه لكي يدخل به إلى أبيه .. لنقرأ بقية القصة كما رواها لنا سفر التكوين :

« فدخل [يعقوب] إلى أبيه وقال يا أبي . فقال هأنذا . من أنت يا ابني . فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك . قد فعلت كما كلمتني . قم اجلس وكُل من صيدي لكي تباركني نفسك . فقال إسحق لابنه ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني . فقال [يعقوب] إن الرب إلهك قد يسَّر لي . فقال إسحق ليعقوب تقدم لأجسك يا ابني . أأنت هو ابني عيسو أم لا . فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه . فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو . ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين [بسبب جلود الماعز] كيدي عيسو أخيه . فباركه . وقال هل أنت هو ابني عيسو . فقال أنا هو . فقال قدِّم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي . فقدَّم له فأكل ... فقال له إسحق أبوه تقدم وقبّلني يا ابني . فتقدم وقبّله . فشم رائحة ثيابه وباركه . وقال انظر . رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب ... » (تك ٢٧: ١٨ ـ ٢٧)..

انظر كيف ارتكب يعقوب خطايا بشعة لكي يباركه أبوه :

- كذب أكثر من مرة .. فعندما ساور إسحق الشك بسبب اختلاف صوت يعقوب عن عيسو سأله سؤالاً محدداً « من أنت يا ابني؟ » ، وسأله مرة أُخرى بأكثر تحديداً « أأنت هو ابني عيسو أم لا؟ » .. ولم يقل يعقوب الحقيقة في إجابته على كلى السؤالين ، كذب وليس على إنسان عادي ، لقد كذب على أبيه كما لم يعطِ أي اعتبار لشيخوخته واقترابه من الموت ..

- وكذب مستخدماً كلمات التقوى والتدين .. فلم يتورع أن يقول لأبيه إن الرب قد ساعده في الصيد وهو ما لم يحدث .. فعندما عبّر إسحق ليعقوب عن دهشته لأنه عاد بسرعة ومعه الطعام أجابه يعقوب « الرب إلهك قد يسَّر لي » أي أن الرب قد سهّل لي الصيد وإعداد الطعام بسرعة ..

ولاحظ أنه لم يقل لأبيه « الرب إلهي .. » بل « الرب إلهك .. » في محاولة واضحة لتملق أبيه وكأنه يقول له إنه بسبب محبة الرب لك ساعدني الرب أن أعد بسرعة لك الطعام الذي تحبه ..

- ولا ننسى أنه خدع أبيه مُستغلاً عجزه وعدم قدرته على الرؤية ..

آه أيها القاريء الحبيب ، الخوف هو أب لخطايا كثيرة ، وعندما نستسلم له ولا نقاومه سنسقط بسهولة في مثل هذه الخطايا ذات النتائج المؤلمة :

- « المتكلم بالأكاذيب لا ينجو » (أم ١٩: ٥) ..
- « الفم المَلِق [الذي يتملق] يُعِد خراباً » (أم ٢٦: ٢٨) ..
- » •المتكلم بالأكاذيب يهلك « (أم ١٩: ٩) ..

خاف يعقوب ألا ينال البركة فسقط وكان سقوطه عظيماً مع إنه لم يكن هناك أي مبرر لخوفه ، فالرب سبق ووعد رفقة أمه أن البركة له..!!

نتائج مُرة

والآن تأمل معي نتائج هذه الخطايا البشعة التي ارتكبها يعقوب بسبب الخوف .. عرف عيسو بما فعله يعقوب فحقد عليه وأراد أن يقتله .. وعرفت أمهما رفقة بذلك فقالت ليعقوب « قم اهرب إلى أخـي لابان إلى حاران [تبعد نحو ٥٠٠ كيلو متراً] . وأقم عنده أياماً قليلة .. حتى يرتد [يزول] غضب أخيك عنك وينسى ما صنعت به . ثم أرسل فآخذك من هناك » (تك ٢٧: ٤٣ ــ ٤٥) ..

إلا أنها لم تكن أياماً قليلة كما توقعتها رفقة .. ولم تكن سنة أو سنتين بل عشرين سنة !!.. ولم تر رفقة ابنها يعقوب مرة أُخرى إذ قد ماتت خلال هذه المدة ..

وقاسى يعقوب بشدة في بيت لابان من سوء المعاملة والسلب المتواصل طوال هذه المدة الطويلة .. وتأمل فقد تحققت مع يعقوب كلمات رسالة غلاطية « الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد » (غل ٦: ٧) .. ودائماً حجم الحصاد أكثر كثيراً من الزرع ، تزرع بذرة واحدة فتحصد ثماراً مملوءة بالبذار .. لقد زرع

يعقوب أنانية وانتهازية وكذباً وخداعاً فحصد أمثالها مضاعفاً ..

- فكما استغل عيسو أخيه استغله لابان خاله .. استغل يعقوب رغبة عيسو في تناول العدس لينتزع منه البكورية فاستغل لابان رغبة يعقوب في الزواج من ابنته راحيل فأرغمه على العمل راعياً لغنمه سبع سنوات بلا أجر لكي يعطيه راحيل زوجة..
- وكما خدع يعقوب أباه إسحق فقد خدعه أيضاً لابان وزوّجه من ليئة بدلاً من أختها راحيل ثم عرض عليه أن يعمل عنده سبع سنوات أُخرى بلا مقابل إن أراد أن يتزوج راحيل إلى جانب ليئة ..
- بعد أربع عشرة سنة اشتغل فيها يعقوب بلا أجر لم يقدر أن يترك لابـــان بل استمر يعمل لديه ست سنوات أُخرى ولكن بأجر .. وبالرغم من أنه اغتنى كثيراً في هذه السنوات الست إلا أن لابان أتعبه بشدة خلالها وغيّر أُجرته عشر مرات ..
- ونترك يعقوب مؤقتاً ونتحدث عن شخص آخر خاف بدوره ألا تتحقق وعود الرب فسقط في خطايا بشعة دمرته .. هو يربعام الملك ..

يربعـــام

هو من سبط أفرايم وكان يعمل عبداً لدى سليمان الملك .. في أحد الأيام قابله النبي أخيا وكان النبي يرتدي رداءً جديداً فمزقه إلى اثنتي عشرة قطعة ثم قال ليربعام :

« خذ لنفسك عشر قطع . لأنه هكذا قال الرب .. هأنذا أُمزق المملكة [تتكون من اثنى عشر سبطاً] من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط .. وتكون ملكاً على إسرائيل . فإذا سمعت لكل ما أوصيك به وسلكت في طرقي وفعلت ما هو مستقيم في عيني وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داود عبدي أكون معك وأبني لك بيتاً آمناً كما بنيت لداود » (١مل ١١: ٣١ ، ٣٧، ٣٨) ..

الرب أعطى يربعام وعدين :

- أن يجعله ملكاً على عشرة أسباط ..

• أن يُحافظ عليه ويُثبِّت ملكه واشترط الرب لتحقيق هذا الوعد أن يستمر يربعام طائعاً له حافظاً لوصاياه ..

الوعد الأول يتحقق

كان سليمان يملك على كل أسباط شعب الرب الاثني عشر ولكن بسبب أنه تزوج نساءً غريبة (من شعوب وثنية) سقط في خطية خطيرة جداً « وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى [غير الرب] » (١مل ١١: ٤) .. وآسفاه لقد بنى سليمان ابن داود معابد لهذه الآلهة على الجبال المحيطة بأورشليم حتى تتعبد فيها نساؤه الوثنيات .. وآسفاه الرجل الذي بنى هيكل الرب العظيم في أورشليم يبني معابد وثنية في الجبال التي حولها فيتسبب في دخول العبادة الوثنية إلى بلاده .. ويزيد من بشاعة ما فعله سليمان أن الرب كان قد أحسن إليه إحساناً عظيماً ، لقد تراءى له مرتين (١مل ١١: ٩) بينما لم يتراءى لداود أبيه أبداً بل كان يتحدث إليه من خلال الأنبياء .. كما أعطاه حكمة فائقة وغنى بلا حدود ووهبه أعظم امتياز أن يبني له الهيكل ..

وأرسل الرب إلى سليمان منبهاً ومحذراً من خطورة نتائج ما يفعله « إني أُمزق المملكة عنك تمزيقاً [سأقسمها] وأعطيها لعبدك [يربعام] » (١مل ١١: ١١) ..

لم يتجاوب سليمان مع تحذير الرب له ، لم يعترف بخطيته ولم ينطق بكلمة واحدة تدل على ندمه وتوبته ، وهكذا تحول سليمان الحكيم جداً إلى سليمان الغبي جداً .. تقول كلمة الرب « طلب سليمان قتل يربعام » (١مل ١١: ٤٠) .. أراد أن يقتله لكي يمنع تحقيق ما قاله الرب !!.. ولكن عبثاً كل ما يفعله البشر مهما بلغت قوتهم لمنع نتائج خطاياهم المُرّة ، فلا شيء سوى التوبة والرجوع إلى الرب والاعتماد على نعمته الغنية ينقذ من هذه النتائج ..

لم يتب سليمان ولم يتشبه بداود أبيه الذي عندما سقط في الخطية أتى إلى الرب منكسراً وهو يقول « ارحمني يا الله حسب رحمتك » (مز ٥١: ١) ، بل أراد أن يقتل يربعام !!.. فنفذ الرب العقاب الذي توعد به ، تمزقت المملكة وانقسمت إلى قسمين وملك يربعام على القسم الأكبر (عشرة أسباط) والذي أُطلِق عليه مملكة إسرائيل بينما ملك رحبعام ابن سليمان على القسم الأصغر (سبطين فقط) وأُطلِق عليه مملكة يهوذا وكانت عاصمتها أورشليم .. وهكذا تحقق الوعد الأول الذي وعد به الرب يربعام..

أمر مدهش

مع أن يربعام رأى وعد الرب الأول يتحقق معه ويتحول من عبد إلى ملك على الرغم من أن تحقيق هذا الأمر كان من النظرة البشرية المنطقية مستحيل الحدوث ويتطلب معجزة كبيرة ، لكنه لم يصدق أن الوعد

الثاني سوف يتحقق كالوعد الأول .. لم يصدق أن الرب سيحفظه وسيُثبِّت ملكه..

لقد استسلم يربعام إلى مخاوف لا مبرر لها على الإطـلاق بدلاً من أن يستند بإيمان على وعد الرب « قال يربعام في قلبه الآن ترجع المملكة [العشرة أسباط] إلى بيت داود [إلى رحبعام ابن سليمان] » (١مل ١٢: ٢٦) ..

كان شعب الرب يذهب باستمرار إلى أورشليم (عاصمة مملكة يهوذا التي ملك عليها رحبعام ابن سليمان) لكي يقدم الذبائح للرب في الهيكل ولاسيما في الأعياد .. فخاف يربعام من ذهاب شعبه المتكرر إلى أورشليم وقال أيضاً في قلبه « إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم [السابق] إلى رحبعام ملك يهوذا [الموجود في أورشليم] ويقتلوني ويرجعوا إلى رحبعام » (١ مل ١٢: ٢٧) ..

خـــــاف أن يُقتـــــل مع أن الـــــرب وعـــده بالحمايـــــة والحـــفظ .. خاف من أسد وهمي غير موجود .. وتصرف يربعام مثل يعقوب ، لجأ إلى الطرق البشرية من أجل أن يحمي نفسه من خطر لا وجود له وكانت طرقه أشر بكثير جداً من طرق يعقوب ..

كذب على شعبه وأوهمه أنه يريد أن يريحه من مشقة السفر إلى أورشليم ولهذا أقام عجلين من الذهب كما فعل هرون من قبل ليُقدموا لهما الذبائح بدلاً من تقديمها في هيكل الرب بأورشليم ، واحداً في شمال مملكته في دان والآخر في جنوبها في بيت أيل .. ولم يكتف يربعام بهذا بل طرد من مملكته الكهنة واللاويين الذين اختارهم الرب من سبط لاوي لتقديم الذبائح وتعليم الشعب العبادة السليمة وعيَّـن كهنة من اختياره ليسوا من سبط لاوي الذي حدده الرب بل من عامة الشعب لكي يقودوا العبادة في مملكته (١مل ١٢: ٣١) ..

كما ابتدع عيداً دينياً كبيراً في الشهر الثامن ليُنسِي الشعب عيد المظال العظيم الذي كان يتم الاحتفال به في أورشليم في الشهر ا لسابع ..

فعل يربعام هذه الأمور الشريرة جداً في تحدي سافر لشريعة الرب لكي يُنسِي شعبه (الأسباط العشرة) العبادة الحقيقية التي أمر الرب أن تكون في هيكله بأورشليم .. والهدف واضح أن ينسى الشعب مدينة أورشليم فلا يفكر في العودة مرة أخرى إلى ملكها رحبعام .. ولك أن تقارن بين ما فعله يربعام وكلمات

المرنم في مزمور ١٣٧:

« إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني [تنســى يدي اليمنى ما تعرف أن تقوم به] . ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك إن لم أُفضّل أورشليم على أعظم فرحــي » (مز ١٣٧: ٥ ، ٦) ..

هل نجح يربعام أن ينجي نفسه من مخاوفه ؟.. كلا ، فعندما لا نثق في وعد الرب بحمايته لنا ونرتكب الخطايا لكي نحمي أنفسنا بها فإننا نؤذي أنفسنا أشد الأذى ..

لقد أذى يربعام نفسه « ضربه الرب ومات » (٢أي ١٣: ٢٠) بل أذى عائلته وتسبب في تدميرها (١مل ١٤: ١٠، ١١) لأنه كيعقوب استسلم للخوف من أسد وهمي لم يوجد إلا في ذهنه والسبب أنه لم يُصدق أن الرب سيحقق وعده ..

لنتعلم الدرس فلا نحاول اللجوء مثل يعقوب ويربعام لطرق بشرية ملوثة بالخطية لكي ننال ما وعدنا به الرب من نجاح أو حماية بل لنتمسك بوعوده ولنواجه بها المخاوف حينما تهاجمنا .. فحتماً سيحقق الرب وعوده ..

« ليس الله إنســاناً فيكذب .. هل يقول ولا يفعل . أو يتكلم ولا يفي » (عدد ٢٣: ١٩) ..

إبراهيــم

لقد وعد الرب إبراهيم أنه سيكون له نسل عظيم من ابنه إسحق وفي أحد الأيام فوجيء إبراهيم بالرب يطلب منه أن يذبح إسحق ويقدمه له محرقة ، ولم يكن إسحق قد تزوج بعد ، أي لم يكن له نسل ..

لم يخف إبراهيم ألا يتحقق وعد الرب له بأن يصير له نسل من إسحق .. لم يخف كما خاف يعقوب ويربعام فقد كان يثق في الرب إلهه كل الثقة أنه حتماً سيحقق وعده حتى ولو مات إسحق **!!..**

« تيقن أن ما وعد به [الرب] هو قادر أن يفعله أيضاً » (رو ٤: ٢١) ..

الآن اقرأ معي هذه الشهادة التي شهدت بها الرسالة إلى العبرانيين لإيمان إبراهيم :

« بالإيمان قدم إبراهيم إسحق [وضعه على المذبح ليذبحه] ..

إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات » (عب ١١: ١٧، ١٩) ..

لم يفعل إبراهيم مثل يعقوب ويربعام ، ظل مطيعاً للرب دون خوف ألا يتحقق الوعد .. فقد آمن أن الرب لا يستحيل عليه شيء كأيوب في إيمانه حين قال للرب :

« قد علمت أنك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر »

(أي ٤٢: ٢) ..

آمن إبراهيم أن الرب سيحقق الوعد ، أطاع الرب وقدّم إسحق على المذبح بثقة أن الرب سيُقيم إسحق من الموت لكي يتزوج فيكون له نسل منه !!

القاريء العزيز .. قل بثقة ، الرب يحفظني بنعمته فلا أكون في هذا الأمر مثل يعقوب أو يربعام بل مثل إبراهيم .. الرب يحفظني واثقاً فيه فلا ألجأ إلى الطرق البشرية الردية لكي أُحقق وعداً أعطاه الرب لي بل مثل إبراهيم أظل طائعاً للرب متأكداً أنه حتماً سيحقق وعده :

« لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب .. الكل صار .. لم تسقط كلمة واحدة »

(يش ٢٣: ١٤) ..

الفصل الخامس

عندما يزول الخطر ويظل في عقولنا

أعود بك قارئي إلى قصة يعقوب لنُكمل الحديث من حيث توقفنا .. يعقوب في بيت لابان يعاني من معاملته السيئة وغدره المستمر عشرين عاماً متواصلة ..

نعم لقد جعل الرب يعقوب يتألم طويلاً من نتائج أعماله الرديئة التي فعلها مع إسحق أبيه وعيسو شقيقه لكنها آلام لهدف عظيم !! أن يبغض يعقوب بكل كيانه هذه الأعمال .. كان الرب يؤدبه « أي ابن لا يؤدبه أبوه » (عب ١٢: ٧) لكي يُعلّمه درساً ويحفره عميقاً في ذاكرته فلا ينساه ، أي ألا يلجأ مرة أخرى إلى مثل هذه الأعمال بل ينتظر بثقة تحقيق وعود الرب ..

تأمل كيف تعامل الرب مع يعقوب وهو يؤدبه برحمة عظيمة ونعمة غنية .. فقد سلّمه إلى يد لابان للتأديب إلا أنه في ذات الوقت حفظه من يد عيسو الذي كان مصمماً على قتله .. كما أظهر له محبته العظيمة بطرق ملموسة أثناء وقت التأديب الطويل ليؤكد له أنه يحبه برغم كل ما فعل .. وأنه كأب حكيم يؤدبه لأنه يحبه ولم يسمح لإبليس أن يستغل التأديب في تدميره فهو « إله كل تعزية [تشجيع] » (٢كو ١: ٣) .. وقد شجع يعقوب كثيراً وهو يؤدبه من خلال هذه المواقف الثلاثة :

- في ليلته الأولى بعد مغادرة بيت أبيه هارباً إلى بيت خاله لابان في حاران ، عندما مالت الشمس للمغيب وكان على مسافة قريبة من مدينة لوز ، خاف يعقوب أن يبيت داخل المدينة حتى لا يجده عيسو وقرر أن ينام خارجها في الصحراء العارية واتخذ من حجارة المكان وسادة يضع عليها رأسه .. يا لقسوة الموقف ، ينام في صحراء مخيفة موحشة على أرضها الوعرة وحيداً محروماً للمرة الأولى في حياته من دفء العائلة والأصدقاء تحاربه أفكار مخيفة عن عيسو الذي يطارده والوحوش التي ستفتك به .. لكن الرب بمحبته العجيبة لم يتركه في هذا الموقف العصيب بل ظهر له وتحدث معه بهذه الكلمات الرائعة . لنقرأها معاً من سفر التكوين:

« رأى [يعقوب] حلماً وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء . وهوذا ملائكة الله

صاعدة ونازلة عليها . وهوذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب .. ها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض . لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به » (تك ٢٨: ١٢، ١٣ ، ١٥)..

يا له من حلم رائع ومشجع للغاية فهو يعلن ليعقوب أن الرب معه ولن يتركه أبداً وقد سخّر الملائكة لحمايته ولذا لن يقدر عيسو أن يقتله وأن خطره قد زال ..

- رأى يعقوب كيف صنع الرب معجزة مع راحيل زوجته ، كيف استجاب صلاتها وشفاها من عقمها الذي دام سنوات وولدت ابنها الأول يوسف ، فتقوّى إيمانه جداً حتى أنه تحدث مع لابان بشجاعة وطالبه للمرة الأولى أن يسمح له بالرحيل والعودة إلى أرض آبائه (تك ٣٠: ٢٥) ولسان حاله يقول له « لقد صارت لي عائلة كبيرة وقد يفكر عيسو في إيذائها هي أيضاً ، لكنني لست محتاجاً لحمايتك لي ولها ، فإلهي الذي شفى زوجتي قادر كذلك على حمايتي وحماية كل فرد من عائلتي .. أطلقني لأرحل إلى أرض آبائي » ..

ومع أن لابان رفض تماماً هذا الطلب إلا أن شجاعة يعقوب جعلته يوافق على أن يعطي له أجراً مقابل الجهد الذي يبذله في رعاية أغنامه ، والعجيب أيضاً أنه وافق على طريقة الحساب التي اقترحها يعقوب مما جعل يعقوب ينمو ويتسع .. يقول عنه الكتاب « اتسع .. كثيراً جداً . وكان له غنم كثير وجوارٍ وعبيد وجمال وحمير » (تك ٣٠: ٤٣) .. لقد اغتنى يعقوب جداً بعد فقر ومعاناة ولابد أن ذلك شجعه كثيراً جداً ..

- كما تمتع يعقوب وهو في بيت لابان بحماية واضحة من الرب فقد أنقذه من غدر لابان المستمر .. استمع إلى كلماته وهو يتحدث إلى زوجتيه ليئة وراحيل شاهداً بإحسان الرب العظيم معه :

« أنتما تعلمان أني بكل قوتي خدمت أباكما [لابان] . وأما أبوكما فغدر بي وغيّر أُجرتي عشر مرات لكن الله لم يسمح له أن يصنع بي شراً » (تك ٣١: ٦، ٧) ..

يعقوب يرحل

بعد عشرين سنة من بداية إقامة يعقوب عند لابان نقى الرب خلالها يعقوب من الأمور غير النقية التي أضعفت إيمانه ، ظهر له ودعاه للرجوع إلى أرض آبائه قائلاً له:

« ارجع إلى أرض آبائك وإلى عشيرتك . فأكون معك »

(تك ٣١: ٣) ..

ما معنى هذه الكلمات ؟.. إن خطر عيسو قد زال ولم يعد يعقوب محتاجاً إلى بيت لابان ليحميه منه وعليه أن يعود إلى أرض آبائه في كنعان ..

لم يرد يعقوب أن يُخبر لابان إذ خاف أن يمنعه فاتخذ القرار أن يهرب سراً وبالفعل نجح أن يترك بيت لابان مع زوجتيه وأولاده وكل مواشيه دون أن يشعر أحد بهم ..

في اليوم الثالث من رحيله عرف لابان بما فعله يعقوب فغضب جداً وأسرع وراءه ومعه إخوته طالباً أن يؤذيه لكن الرب ظهر للابان في حلم في الليل وقال له « احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر » (تك ٣١: ٢٤) ..

ولحق لابان بيعقوب وقال له:

« في قدرة يدي أن أصنع بكم [بكل العائلة] شراً . ولكن إله أبيكم كلمني البارحة قائلاً احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر » (تك ٣١: ٢٩) ..

انظر ، الرب بهذه الحادثة يؤكد ليعقوب بطريقة عملية واضحة أنه سيحفظه من كل شر وكما نجاه من لابان فهو قادر أيضاً أن ينجيه هو وعائلته من عيسو .. فلم يعد عيسو خطراً عليه ..

رؤية الملائكة

عاد لابان إلى بيته وواصل يعقوب وأسرته السير في اتجاه الجنوب ومرة أُخرى نجد يعقوب يرى الملائكة .. في المرة الأولى قبل عشرين عاماً رآها في حلم صاعدة ونازلة على سلم يصل بين الأرض والسماء أما هذه المرة فهو يراها وهو يقظ « أما يعقوب فمضى في طريقه ولاقاه ملائكة الله » (تك ٣٢: ١) .. رأى جيشين من الملائكة ، جيش يسير أمامه وجيش يسير وراءه ..

جيش أمامه يحميه من عيسو ..

وجيش خلفه يحميه من لابان إن فكّر أن يعود مرة أُخرى ليؤذيه ..

تأثر يعقوب بما حدث وسمى المكان الذي رأى فيه هذه الملائكة محنايم التي تعني جيشين .. وتشجع وأرسل رسلاً إلى عيسو المقيم في أرض سعير) جنوب البحر الميت (ليخبره بأنه عائد إلى بيت أبيه..

عاد الرسل ولكن بدون إجابة من عيسو تطمئن يعقوب بل وأكثر من ذلك أزعجوه جداً بقولهم إن عيسو

قادم للقائه ومعه أربعمائــة رجل .. تقــول كلمــة الرب « خاف يعقوب جداً وضاق به الأمر » (تك ٣٢: ٧) !!.. عندئذ تناسى يعقوب أن الـرب هـو الـذي أمـره بالرجـوع ووعـده بأنه سيكون معه .. وتناسى أن الرب أنقذه من لابان كما تناسى الملائكة التي تحيط به من الأمام والخلف وتفصله عن أي خطر ..

يا لغرابة الأمر !!.. الأسد يطل برأسه مرة أخرى في رأس يعقوب !!.. تناسى يعقوب أن خطر عيسو قد زال بالفعل وبدأ مرة أُخرى في الاستسلام للخوف من خطر وهمي ، هذا الأسد المدمر الذي لا وجود له .. وتأمل ماذا فعل هذا الأسد بيعقوب ؟..

« قسم القوم الذين معه [عائلته وعبيده] والغنم والبقر والجمال إلى جيشين . وقال إن جاء عيسو إلى الجيش الواحد وضربه يكون الجيش الباقي ناجياً [سيهرب أثناء ضرب الجيش الأول] » (تك ٣٢: ٧، ٨) ..

يا لخطورة الخوف حين نستسلم له فيأكلنا ويدفعنا للقيام بأعمال مرهقة لا جدوى منها أو ضرورة لها .. فلم يكن هناك أي احتياج أن يقسم يعقوب عائلته وعبيده إلى جيشين ، فجيشا الملائكة موجودان لحمايته ..

وتأمل مـــاذا فعل أيضاً ؟.. أرسل هدية ثمينة إلى عيسو لإرضائه عبارة عن خمسة قطعان من الحيوانات المتنوعة ، قطيع من الماعز والثاني من الغنم والثالث من الجمال والرابع من البقر والأخير من الحمير .. المجموع الكلي خمسمائة حيوان .. وحدد لكل قطيع عبداً مسئولاً عنه أي هو الذي يقدمه هدية إلى عيسو ..

وأمر يعقوب عبيده الخمس أن يقدم كل منهم قطيعه على حدة إلى عيسو ، وبين كل قطيع والتالي فسحة من الوقت .. ومع تقديم كل قطيع لعيسو يقول العبد المسئول له :

« [هذا القطيع] لعبدك يعقوب . هو هدية مرسلة لسيدي عيسو . وها هو [يعقوب] أيضاً وراءنا » (تك ٣٢: ١٨) ..

أراد يعقوب بهذه الطريقة أن يكون لهديته أقوى تأثير ممكن على عيسو لتهدئة غضبه وترضيته..

وماذا فعل يعقوب عندما تقابل مع عيسو وجهاً لوجه ؟..

« سجد إلى الأرض سبع مرات [سجود الاحترام والتقدير الذي كان معروفاً في ذلك الوقت وليس سجود العبادة] حتى اقترب إلى أخيه » (تك ٣٣: ٣) ..

وعندما سـأل عيسـو يعقوب عن المصاحبين له من الصغار أجاب يعقوب « [إنهم] الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك » (تك ٣٣: ٥) ..

وعندما سأله لماذا الهدية بهذه الضخامة أجابه يعقوب « لأجد نعمة في عيني سيدي » (تك ٣٣: ٨) ..

وعندما أراد عيسو أن يرد الهدية إليه ، قال له يعقوب « إن وجدت نعمة في عينيك تأخذ هديتي من يدي . لأني رأيت وجهك كما يُرى وجه الله » (تك ٣٣: ١٠) ..

ولا يمكن أن نقول إن يعقوب استخدم في كلماته السابقة ألفاظ « عبدك .. سيدي » لمجرد التعبير عن تقديره واحترامه لأخيه .. إنما هي للأسف لغة التذلل والخنوع والتملق ..

كما نلاحظ التملق حينما وصف وجه عيسو إنه كوجه الله **!!..**

كما نرى تذلله لأخيه واضحاً في سجوده المتكرر سبع مرات أمام عيسو ..

يا للهول ، كيف تصرّف يعقوب هكذا متجاهلاً كلمات الرب له :

« ليُستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيداً لإخوتك . وليسجد لك بنو أمك » (تك ٢٧: ٢٩) ..

كيف تجـاهل الكلمـات التي قالهـا الرب عنـه إلى أمـه قبيل ولادته « كبير [عيسو] يُستعبد لصغير [يعقوب] » (تك ٢٥: ٢٣) ..

كان قصد الرب نحو يعقوب أن يكون رأساً ولكن خوفه من عيسو رغم زوال خطره جعل يعقوب يتصرف كالذيل (تث ٢٨: ١٣، ٤٤) ..

نعم كان خطر عيسو قد زال فسفر التكوين يقول لنا إنهما تعانقا وبكيا في منظر عظيم مؤثر للمصالحة الصادقة ، ومع ذلك ظل يعقوب معتقداً أن عيسو لا يزال خطراً عليه .. ظل خائفاً منه وبلا مبرر فتظاهر أنه سيتبع عيسو إلى بلدته سعير للبقاء عنده بعض الوقت وطلب منه أن يسبقه إلى هناك مُدعياً أنه غير قادر أن يسير برفقته بسبب بطئه لوجود أولاده الصغار معه .. كذب يعقوب عليه فما أن ابتعد عيسو حتى غيّـر يعقوب مساره متجهاً إلى سكوت بدلاً من سعير **!!**

ما كل هذه الخطايا التي سقط فيها يعقوب ؟ ..!إنها نتائج الخوف .. نتائج تصديق وجود الأسد الزائر الخادع .. فهذا الخوف لم يكن من خطر حقيقي .. أليس الله هو الذي أمره بالعودة ؟ وألم تكن الملائكة تحيط به من كل ناحية لتحفظه ؟ ..إلا أن يعقوب بدلاً من أن يثق في أمانة الرب معه وكيف حفظه وباركه وهو في بيت لابان ، وبدلاً من أن يتذكر الملائكة التي رآها مرتين في المنام وفي الصحو ، ترك نفسه فريسة لخوف من خطر كان قد زال فسيطر عليه وأذله وأسقطه في خطايا عديدة..

القاريء العزيز ، عندما يهاجمك الخوف قاومه بالاتكال على الرب والاستناد على وعوده كما يقول داود :

« فــي يـــــوم خـــوفي أنـــا عليك أتكل » (مز ٥٦: ٣) ..

قاومه أيضاً بتذكُّر وعود الرب لك بالحماية :

« الرب حافظك ..

لا تضربك الشمس في النهار [الشمس تُعبِّر عن الخطر الواضح]

ولا القمر في الليل [القمر يُعبِّر عن الخطر المختبيء الخادع] .

الرب يحفظك من كل شر » (مز ١٢١: ٥ ـ ٧) ..

قاوم الخوف أيضاً بتذكُّر معاملات الرب معك في الماضي .. كيف حفظك وباركك :

»باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته..

الذي يفدي من الحفرة حياتك ..

الذي يشبع الخير عمرك » (مز ١٠٣: ٢ ، ٤ ، ٥) ..

نعم في يوم خوفك يمكنك أن تردد كلمات إشعياء :

« هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً [إنقاذاً] » (إش ١٢: ٢) ..

الاختبـــاء

أيها القاريء العزيز ، قد يدعونا الرب للاختباء من خطر حقيقي ، ففي بعض الأحيان يكون الاختباء هو الوسيلة التي يختارها لحمايتنا ، والأمثلة من الكتاب المقدس كثيرة ..

- فعندما قتل موسى الرجل المصري غضب عليه فرعون وأراد أن يقتله فسمح الرب له أن يهرب إلى أرض مديان ويختبيء بها من فرعون (خر ٢: ١٥) ..
- ولما صلى النبي إيليا فتوقف المطر وبدأت المجاعة قال الرب لإيليا « انطلق من هنا واتجه نحو المشرق واختبيء عند نهر كريث » (١مل ١٧: ٣) ..
- وما حدث في قصة ميلاد الرب يسوع بالجسد حين ظهر ملاك الرب ليوسف في حلم وقال له « قم وخذ الصبي [الرب يسوع] وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك . لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه [يقتله] » (مت ٢: ١٣) ..

وتأمل معي ما حدث عندما زال الخطر ، نجد الرب أعلن لموسى ويوسف أنه قد زال لكي ينهوا وقت الاختباء :

- قال الرب لموسى « اذهب ارجع إلى مصر . لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك » (خر ٤: ١٩) ..
- وظهر الملاك ليوسف مرة ثانية في الحلم وقال له « قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل . لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي » (مت ٢: ٢٠) ..

أما في حالة إيليا فالأمر مختلف حيث كان الخطر لا يزال قائماً .. فلم يمت آخاب ولم تقل عداوته هو وزوجته لإيليا ومع هذا طلب منه الرب أن ينهي فترة اختبائه التي دامت أكثر من ثلاث سنوات ويذهب لمقابلة آخاب ويواجه الخطر بشجاعة :

«اذهب وتراءى لآخاب فأُعطي مطراً على وجه الأرض [سأنهى المجاعة]» (١مل ١٨: ١) ..

القاريء العزيز ، إن كانت لك علاقة حيَّة حقيقية بالرب يسوع فلتكن واثقاً أن إله موسى وإيليا ويوسف هو أيضاً إلهك .. سيعلن لك الحقيقة وسيقودك لتتعامل معها بحسب مشيئته :

- إن الخطر موجود وهو يريدك أن تختبيء للحماية ..
- إن الخطر لا يزال قائماً ولكنه يريدك أن تواجهه بثقة أنك لن تُؤذى ..
- إن الخطر قد زال ، ولا ضرورة للاختباء فلا تسمح لأي أُسود مخيفة أن تستقر في ذهنك ..

واختلف يعقوب

رأينا كيف استمر يعقوب خائفاً رغم أن الخطر كان قد زال فلم يطرد الأُسود المخيفة من ذهنه والنتيجة أنه تصرف مع أخيه عيسو بمذلة كذيل .. لكن يعقوب لم يستمر هكذا ، فعندما نكون في علاقة حيَّة حقيقية متواصلة مع الرب سيختلف حالنا تماماً .. سيعالج الرب عيوبنا وسيُصحح أخطاءنا وسينقينا لنكون بحسب مشيئته ..

وبالفعل اختلف يعقوب فيما بعد ، وفي المرحلة الأخيرة من حياته لم يتصرف كذيل بل كرأس لأنه لم يستسلم للخوف .. تأمل معي في هذه الحادثة التي تبرهن على أنه تغيّر بالفعل ..

كان يعقوب في طريقه إلى مصر هرباً من المجاعة في كنعان ليحيا بجوار ابنه يوسف الذي كان الرجل الثاني في مصر بعد فرعون .. ولا شك أنه تذكر ما حدث مع جده وأبيه ، إبراهيم وإسحق حين حلت المجاعة في أرضهما .. كيف أن الرب ترك إبراهيم يهرب من المجاعة ويذهب إلى مصر وهناك تعامل معه ليتعلم ألا يتحرك لأي مكان هروباً من خطر ما إلا بعد أن يتأكد من مشيئة الرب له .. وكيف تدخل الرب في حالة إسحق وأمره « لا تنزل إلى مصر » (تك ٢٦: ٢) ..

هنا نرى يعقوب حكيماً يتصرف كشخص ناضج ، فبرغم أنه لم يكن قد رأى يوسف لأكثر من عشرين عاماً إلا أنه لم يندفع بسبب الاشتياق كما لم يتراجع بسبب الخوف .. توقف في الطريق عند حدود كنعان الجنوبية في بئر سبع ليقضي وقتاً مع الرب وقدم له ذبائح وليس ذبيحة واحدة (تك ٤٦: ١) مما يعني أن وجوده في حضرة الرب لم يكن لوقت قصير ..

نحن أيضاً عندما نفعل مثل يعقوب ونقضي الوقت مع الرب مقدمين له ذبائح الصلاة (مز ١٤١: ٢) والتسبيح (عب ١٣: ١٥) فإنه بكل تأكيد سيعلن لنا عن حالة الخطر الذي أمامنا وعن كيفية مواجهته .. يقول سفر التكوين :

«فكلم الله إسرائيل [أي يعقوب] في رؤى الليل

لا تخف من النزول إلى مصر

أنا أنزل معك إلى مصر » (تك ٤٦: ٢ ـ ٤) ..

ونزل يعقوب إلى مصر غير خائف ، ولم يتصرف هناك بمذلة مثلما تصرف مع عيسو بل بشجاعة كرأس « وبارك يعقوب فرعون [الملك] » (تك ٤٧: ٧) ..

القاريء العزيز ، عندما نحفظ عيوننا متجهة إلى الرب وآذاننا منصتة لصوتـــه وقلوبنـــا منشغلة بوعـــوده فستتحقق معنا كلمـــات مزمور ١١٢ القائلة :

« لا يخشـــى من خبر ســـوء . قلبـــه ثابت متكـلاً على الرب » (مز ١١٢: ٧) ..

ولن نتصرف بمذلة ، لن نكون ذيلاً بل كما دعانا الرب نكون رأساً ..

سيدي ..

لا أُريد أن أتحرك خارج مشيئتك أبداً ..

لا أُريد أن أتصرف عن خوف وأترك أُسوداً في ذهني ..

ساعدني أن أتذكر دائماً أن وعدك

لي أن تحفظني من كل شر

وأن ملائكتك تحيط بي دائماً لتحميني ..

« مـــلاك الـــرب حـــال حـــول خائفيـــه وينجيهم » (مز ٣٤: ٧) ..

« ويجعـــلك الرب رأســـاً لا ذنبـــــــــاً [ذيـــــلاً] » (تث ٢٨: ١٣) ..

الفصل السادس

عندما نتذكر آثام الماضي

هذا الفصل يُحدِّثك عن إخوة يوسف أولاد يعقوب فهم أيضاً أرعبتهم الأسود الخيالية التي لم توجد إلا في أذهانهم !!..

ما الذي أوجدها ؟..

ما هي الدروس التي نتعلمها من قصتهم حتى لا تغزو هذه الأسود شديدة الأذى أذهاننا مثلما فعلت معهم ؟..

تبدأ القصة بيعقوب الأب ، لقد أنجب اثنى عشر ولداً لكنه أحب ابنه يوسف أكثر منهم جميعاً :

« أحب [يعقوب] يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته . فصنع له قميصاً ملوناً » (تك ٣٧: ٣) ..

لم تكن غلطة يعقوب أنه أحب يوسف أكثر من سائر بنيه فيوسف كان يستحق هذا الحب الخاص ، فقد كان ابناً مختلفاً يخاف الرب وليس مثل إخوته الذين تورطوا في خطايا بشعة جرحت قلب يعقوب (تك ٣٤؛ ٣٥: ٢٢ ؛ ٣٧: ٢) .. ويقول لنا بعض دارسي الأصل العبري لسفر التكوين إن الأصل العبري للآية السابقة يُسمح بترجمتها هكذا :

« أحب [يعقوب] يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن حكيم فصنع له قميصاً ملوناً » ..

لم يخطيء يعقوب بأن أحب يوسف أكثر من بقية أولاده بل أخطأ حقاً حين أظهر هذا الحب بطريقة أثارتهم وجعلتهم يحسدونه ويبغضونه .. فعندما نتصرف مثل يعقوب بدافع العاطفة ولا نراجع تصرفاتنا في ضوء كلمة الرب ولا نطلب منه الحكمة (يع ١: ٥) قد نُعَرِّض من نحبهم للأذى بما نفعله لهم ..

وأظن أن القاريء العزيز على دراية جيدة بما دبره إخوة يوسف له من خطط للتخلص منه حتى أنهم ألقوه في بئر ليموت فيه ثم تراجعوا عن قتله وباعوه عبداً لقافلة من التجار كانت متجهة إلى مصر

، وما تعرّض له يوسف في سنواته الثلاث عشرة الأولى في أرض مصر .. كيف عمل عبداً في بيت فوطيفار وتدرج صاعداً حتى صار المسئول الأول عن بيت هذا الوزير المصري « رئيس الجند » ، ثم كيف ادعت امرأة فوطيفار كذباً أنه أراد أن يزني معها وأنها قاومته واضطرته أن يهرب تاركاً ثوبه في يديها فألقى فوطيفار به في السجن .. بالرغم من أن الحقيقة هي العكس تماماً فهي التي أرادت الإثم وهو الـــذي هـرب منها بإرادته (تك ٣٩: ٧ ــ ١٨) ..

قفزة هائلة

لكن الرب الذي « يغير الأوقات والأزمنة » (دا ٢: ٢١) حوّل أوقات وأزمنة يوسف من ضيق ومشقة إلى مجد وغنى .. فعندما نظل واثقين في الرب متكلين على وعوده يقودنا « من وجه الضيق إلى رحب لا حصر فيه » (أي ٣٦: ١٦) ..

هذا ما حدث مع يوسف الذي ظل واثقاً في الرب (مز ١٠٥: ١٧ ــ ١٩) فصنع الرب معه معجزة عظيمة ، حرره من السجن وجعله الرجل الثاني في كل أرض مصر بعد فرعون ملكها ..

كرّم فرعون يوسف جداً وأوكل إليه مسئولية إنقاذ البلاد من خطر سبع سنوات المجاعة .. وعمل يوسف باجتهاد لإنقاذ مصر ، فجمع في سنوات الشبع قمحاً كثيراً جداً وخزّنه ثم قام ببيعه للسكان في سنوات المجاعة ..

اللقــاء

لم تكن المجاعة قاصرة على مصر وحدها بل امتدت إلى المناطق المجاورة ومنها أرض كنعان التي كان يقيم فيها يعقوب وأسرته ، فأرسل يعقوب كل أولاده إلى أرض مصر فيما عدا بنيامين أصغرهم ليشتروا قمحاً حتى لا يموتوا من المجاعة .. وفي أرض مصر قابلوا يوسف فهو الذي كان يقوم ببيع القمح بنفسه للغرباء غير المصريين ليتأكد من أنهم ليسوا بجواسيس .. لم يتعرف إخوة يوسف عليه أما هو فعرفهم أنهم إخوته الذين ألقوه في البئر ثم باعوه منذ أكثر من عشرين عاماً ..

كان يوسف قد سامحهم في قلبه برغم كل ما فعلوه به ولذا أطلق على ابنه البكر الذي أنجبه بعد أن خرج من السجن اسم « منسى » الذي معناه نسيان قائلاً « لأن الله أنساني كل تعبي وكل بيت أبي » (تك ٤١:

٥١).. وبالطبع لم يكن يقصد بالنسيان أنه فَقَدَ الذاكرة بل أنه لم يعد يشعر بالمرارة أو الغضب في داخله عندما يتذكر أعمالهم الشريرة .. لقد شرح سفر أيوب هذا المعنى للنسيان في هذه الآية :

« لأنك تنسى المشقة . كمياه عبرت تذكرها » (أي ١١: ١٦) ..

لم تترك مشقة يوسف في أرض مصر وهو يعمل كعبد ثم وهو في السجن مظلوماً أي أثر من المرارة أو الغضب أو الرغبة في الانتقام لأن الرب تعامل معه وأعطاه القدرة أن يغفر لهم وجعل هذه المشقة كالمياه التي لم تترك أثراً وراءها ..

أمران مختلفان

هناك فرق بين أن تغفر لشخص أساء إليك وأن تُعيد علاقتك معه كما كانت من قبل .. الأمران مختلفان ، فالرب يطالبنا أن نسامح كل من أساء إلينا مثلما سامحنا هو على كل خطايانا (أف ٤: ٣٢) لكنه لا يريدنا أن نُعيد العلاقة معهم إلا إذا كانوا قد تابوا حقاً عما سبقوا وارتكبوه من إساءات (مت ١٨: ١٧) ، وإلا ستتكرر إساءاتهم فنجلب لأنفسنا مزيداً من المتاعب التي تُفرح إبليس عدونا ..

القاريء العزيز .. اغفر لمن أساء إليك أي اتخذ القرار ألا تنتقم منه ، أو تؤذيه مهما كان ما فعله معك .. صلِّ لأجله وصلِّ أيضاً أن تزول من داخلك أية مرارة منه .. صلِّ من أجل أن تكون قادراً على مساعدته إن وُجِدَت ضرورة ، لكن كن حكيماً ولا تعيد العلاقة معه كما كانت في السابق قبل أن تتأكد أنه تاب حقاً عن إساءته وتغير ..

لقد سامح يوسف إخوته في قلبه لكنه كان حكيماً لذلك تحكّم في نفسه وضبط مشاعره وقرر ألا يُعيد العلاقة معهم ويجعلهم يتعرفون عليه قبل أن يتأكد من أنهم تابوا وتغيروا ولن يعودوا يحسدونه ويبغضونه مرة أُخرى ..

ظهور الأسد

وضع يوسف خطة جيدة ليكتشف حقيقة إخوته إذا كانوا قد تابوا وتغيروا أم لا ، وبدأها بأن وضعهم في ضيقة فأمر بحبسهم في السجن ، لأنه عادة ما تُظهر الضيقة حقيقة الإنسان .. حينئذ سمعهم يوسف يقولون

بعضهم لبعض :

« حقاً إننا مذنبون إلى أخينا [يوسف] الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه الضيقة » (تك ٤٢: ٢١) ..

ثم سمع أخاه رأوبين يقول « هوذا دمه [دم يوسف] يُطلب » (تك ٤٢: ٢٢) .. أي إننا سنُقتل لأن ما فعلناه بيوسف هو بمثابة القتل ..

تأمل ما يقوله رأوبين ، لقد بدأ يرى الأسد المرعب وتوقع أن يقوم هذا الأسد بقتله هو وإخوته .. فعندما سمع الأمر بإلقائهم في السجن ، تذكر مع إخوته ما فعلوه قديماً بيوسف ، شعروا بثقل الإحساس بالذنب فتوقعوا أن وقت عقاب الرب قد أتى وأنه سيعاقبهم بالقتل .. تصوروا أن الرجل المسئول عن القمح (يوسف) أدخلهم السجن لكي يقتلهم ..

ولم يكن هناك أسد فيوسف لم يكن ينوي أبداً أن يقتل إخوته !!..

كان فقط يريد أن يتأكد من توبتهم لكي يعيد العلاقة معهم .. سمعهم يوسف وهم يعترفون بشرورهم الماضية فازداد رجاؤه في إمكانية إعادة العلاقة معهم .. فالاعتراف هو بداية التحول إلى البركة والنجاح ، يقول سفر الأمثال « من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يُرحَم » (أم ٢٨: ١٣) ..

استمر يوسف في خطته ، لم يفصح لهم عن حقيقته وأطلقهم من السجن بعد ثلاثة أيام واحتفظ فقط بأخيه شمعون في السجن ووعدهم أنه سيطلقه إذا عادوا إليه مرة ثانية ومعهم بنيامين أخيهم الأصغر .. وقال لهم بكلمات قاطعة « لا ترون وجهي بدون أن يكون أخوكم معكم » (تك ٤٣: ٥) ..

الأسد يظهر من جديد

أيضاً تصرف يوسف مع إخوته بحب فقد دفع من ماله الخاص ثمن القمح الذي اشتروه لمعرفته بظروفهم الصعبة التي يمرون بها بسبب سنوات المجاعة ثم أمر رجاله أن يملئوا أكياس إخوته بالقمح وأن يضعوا الفضة التي قدموها ثمناً لشرائه مع القمح في الأكياس ..

بينما هم في الطريق فتح أحدهم كيسه ففوجئ بالفضة التي اشترى بها القمح داخل الكيس .. يخبرنا سفر

التكوين « طارت قلوبهم وارتعدوا بعضهم في بعض قائلين ما هذا الذي صنعه الله بنا » (تك ٤٢: ٢٨) .. وعندما وصلوا البيت فتحوا أكياس القمح وتفاجئوا مرة أُخرى ، فقد وجد كل منهم فضته التي دفعها موضوعة في كيسه مع القمح .. هذا يعني أنهم حصلوا على القمح مجاناً .. لكنهم خافوا وارتعدوا بدلاً من أن يفرحوا ويروا في هذا الأمر المدهش أن الرب إلههم يُحسِن إليهم بالبركة مثلما فعل في الماضي مراراً مع يعقوب أبيهم (تك ٣٥: ٩ ـ ١٢) وإسحق جدهم (تك ٢٦: ١٢) وإبراهيم جدهم الأكبر (تك ٢٤: ٣٥) ، وبدلاً من أن يشكروه على هذه البركة ..

لماذا ؟ لقد رأوا الأسود المرعبة ، ولم يكن بالطبع لها وجود إلا في أذهانهم .. اعتقدوا أن هذه مؤامرة للإيقاع بهم بتهمة السرقة ، ولم يكن الأمر مؤامرة بل بركة !! ..

والسؤال لماذا لم يذهب تفكيرهم إلى التفسير المنطقي المريح ، أن الرجل العظيم الذي في أرض مصر أراد برد فضتهم إليهم أن يُظهر لهم كرمه وسخاءه مثلما اعتاد بعض الملوك والأمراء أن يفعلوا مع الغرباء حتى يمدحهم الناس في كل مكان متحدثين عن صفاتهم العظيمة (١مل ١٠: ١٣) ؟..

إنه الإحساس القوي بالذنب نتيجة تذكُّر آثام الماضي الذي يجعل الإنسان يميل أن يُفسِر ما يحدث على أنه مقدمة لأذى مقبل لا يمكن تجنبه ، فيخاف ويرتعب بينما لا يوجد شيء حقيقي يخيف ويرعب .. وأسوأ ما يفعله هذا الإحساس هو أن يجعلك تخاف من غضب قادم عليك من الرب وقد تكون الحقيقة مختلفة تماماً (إر ١٧: ١٧) ..

الزيارة الثانية الحاسمة

مع الوقت نفذ القمح الذي أتى به إخوة يوسف من مصر وتماطل يعقوب في إرسال أولاده مرة أُخرى لأنه كان يخاف على بنيامين جداً من أي أذى يحدث له في الطريق (تك ٤٢: ٣٨) ، وقد وضع المتحكم في قمح مصر (يوسف) شرطاً ألا يعودوا إليه بدون بنيامين .. لكن تحت وطأة المجاعة اضطر يعقوب أخيراً أن يُسلّم إليهم بنيامين ليذهب معهم إلى مصر ..

تأمل معي كيف أن خوف يعقوب على بنيامين ابن الثلاثين عاماً (ليس بالفتى الصغير) دليل على أنه كان يعامله معاملة خاصة متميزة مثلما كان يفعل مع يوسف ، فيوسف وبنيامين كانا أصغر أبنائه وهما اللذان

ولدتهما له راحيل أحب نسائه إلى قلبه ..

وفي مصر قابلهم يوسف وأكمل الخطة التي وضعها ليتأكد قبل أن يكشف لهم عن حقيقته أنهم تغيروا ولن يكرروا خطيئتهم ، لن يحسدوه بسبب منصبه المرموق وغناه العظيم ..

أمر يوسف رجاله أن يُدخِلوا إخوته بيته (قصره) ، لكنهم لم يفرحوا بدخولهم القصر بل خافوا وقالوا « نحن قد أُدخِلنا ليَهجِم علينا » (تك ٤٣: ١٨) .. مع أنه من البديهي أنه عندما يدعو رجل عظيم في منصبه أشخاصاً أقل منه في المستوى المهني أو الاجتماعي إلى بيته أن يعني بذلك أنه يريد أن يكرمهم لأنه لو أراد إيذاءهم لأرسلهم إلى السجن ..

مرة أُخرى نراهم يرون الأسود المرعبة .. يتذكرون ما فعلوه من جُرم في الماضي فيشعرون بثقل ذنوبهم فيرتعبون ويتوقعون حدوث كارثة دون أي سبب منطقي ..

لكن لم تقع الكارثة التي كانوا خائفين منها .. لم يهجم عليهم الأسود ولم يقتلهم أحد ، فالأسود ما كانت سوى في أذهانهم .. بل سمعوا من المسئول عن قصر يوسف كلمات مشجعة رفعت معنوياتهم ، قال لهم « سلام لكم . لا تخافوا » (تك ٤٣: ٢٣) .. وحدث ما لم يكونوا يتوقعونه ، وُجِّهت إليهم الدعوة لتناول طعام الغداء مع الرجل الثاني في مصر .. يوسف ..

رتب يوسف أماكن جلوسهم أمامه حتى يلاحظ بنفسه سلوكهم ليحكم عليهم ، هل حقاً اختلفوا عن الماضي ..

لاشك أن يوسف أدرك من عدم مجيء بنيامين معهم في زيارتهم الأولى لمصر أن أباه يعقوب يحابي بنيامين ويحبه أكثر من بقية إخوته ويخاف عليه أكثر من خوفه عليهم ، لذلك أمر أن يُقدم له من الطعام خمسة أضعاف ما يُقدم إلى كل منهم .. أراد أن يبالغ بذلك في محاباته لبنيامين ليُظهر ما في قلوبهم هل يحسدون بنيامين كما كانوا يحسدونه هو في الماضي ..

تتابعت الأحداث وظهر ليوسف بكل وضوح أن إخوته يحبون بنيامين ولا يحسدونه بل إنهم على استعداد أن يضحوا لأجله كما إنهم يُقدِّرون جداً مشاعر أبيهم يعقوب ويحرصون على سلامتها كل الحرص (تك ٤٤: ٢٠ ـ ٣٤) ، هذه المشاعر التي داسوا عليها بأقدامهم في الماضي حين حرموه من

يوسف وكذبوا عليه وأوهموه أن وحشاً رديئاً قد افترسه ..

المصالحـــة

تأكد يوسف أن إخوته قد اختلفوا تماماً فأظهر لهم حقيقته أنه أخوهم يوسف وكانت لحظات درامية فريدة يندر تكرارها « قبَّل [يوسف] جميع إخوته وبكى عليهم » (تك ٤٥: ١٥) .. وفتح لهم قلبه وأظهر لهم محبته الصادقة وطمأنهم بأنه قد سامحهم .. ثم طلب منهم أن يعودوا إلى كنعان كي يأتوا بيعقوب أبيهم ليعيشوا كلهم بالقرب منه في أرض مصر .. وبالفعل ترك يعقوب وبنوه وزوجاتهم وأولادهم أرض كنعان وأتوا إلى مصر ..

ومات يعقوب بعد سبع عشرة سنة من مجيئه إلى مصر وطوال هذه السنوات كان إخوة يوسف محل رعاية واهتمام يوسف فعاشوا في رغد وغنى .. والآن تأمل معي ما فعلوه بعد أن أتموا دفن أبيهم .. لقد أرسلوا إلى يوسف رسالة قالوا له فيها :

« أبوك أوصى قبل موته قائلاً . هكذا تقولون ليوسف آه اصفح عن ذنب .. عبيد إله أبيك » (تك ٥٠: ١٦، ١٧) ..

ما هذه الرسالة الغريبة ؟.. يقول سفر التكوين « لما رأى إخوة يوسف أن أباهم قد مات قالوا لعل يوسف يضطهدنا ويرد علينا جميع الشر الذي صنعنا به » (تك ٥٠: ١٥) ..

لقد خافوا أن يؤذيهم يوسف رغم كل ما أظهره لهم من حب طوال سبع عشرة سنة .. لقد عادت من جديد الأسود المرعبة إلى أذهانهم بعد غيبة طويلة فخافوا خوفاً لا مبرر له على الإطلاق ، فيوسف يحبهم وقد سامحهم بالكامل منذ زمن طويل .. أما هم فخافوا لأنهم لم يكونوا بعد قد تحرروا من عقدة الذنب برغم قبلات يوسف (تك ٤٥: ١٤ ، ١٥) وكلماته التي أكد لهم فيها أنه سامحهم (تك ٤٥: ٤ ـ ٩) ، وبرغم إحسانه المستمر لهم طوال هذه السنوات المتواصلة التي عاشوها في مصر (تك ٤٧: ١١، ١٢) ..

أيضاً لم يتكلموا معه وجهاً لوجه بل أرسلوا له رسالتهم عبر شخص وسيط ، فالخوف يقيم الحواجز بين الأحباء .. كما أنهم كذبوا في رسالتهم حين ادّعوا أن يعقوب أباهم قال لهم قبل موته أن يطلبوا من

يوسف الصفح ، وهذا ليس صحيحاً لأن يعقوب كان متأكداً من غفران يوسف لهم وكان بإمكانه أن يتحدث هو بنفسه مباشرة إلى يوسف لو ساوره الشك في أنه لم يغفر لإخوته ..

إنها عقدة الذنب التي تُفقِد الإنسان سلامه فيخاف بلا داع حقيقي للخوف .. يخاف من أسد وهمي قد يدفعه الخوف إلى إقامة الحواجز بينه وبين أحبائه بل قد يكذب عليهم أيضاً ..

القاريء العزيز .. الإحساس بالذنب نتيجة تذكُّر خطايا الماضي هو أحد أسباب ظهور الأسد الوهمي « الأسد في الخارج » ، واسمح لي أن أقدم لك مثالاً آخر من الكتاب المقدس يشرح لنا هذا الأمر ..

أرملة صرفة

المرأة التي من مدينة صرفة هي مثال آخر للإحساس بالذنب الذي يُطلِق الأسود المرعبة في داخل الذهن .. لقد ذهب إليها النبي العظيم إيليا وصنع معها معجزة عظيمة أنقذتها هي وابنها من الموت جوعاً ، فلم يكن لديها في البيت سوى ملء كف من الدقيق موضوعاً في كوار (إناء) وقليل من الزيت في كوز (١مل ١٧: ١٢) .. قال لها إيليا :

« هكذا قال الرب .. إن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطراً [أي تزول المجاعة] » (١مل ١٧: ١٤) ..

وقد كان فعاشت هي وابنها .. إلا أنه بعد فترة من الزمن أُصيب ابنها الوحيد بمرض ثم مات ، الأمر الذي جعلها تتذكر خطية معينة ارتكبتها في الماضي فتجدد إحساسها بالذنب وعذَّب ضميرها فقالت لإيليا :

« ما لي ولك يا رجل الله . هل جئت إليَّ لتذكير إثمي وإماتة ابني » (١مل ١٧: ١٨) ..

انظر إنها تقول إن إيليا قد أتى إلى بيتها ليؤذيها !! ويبدو أنها فكرت كالآتي : « لقد كشف الرب لإيليا عن خطية قد فعلتها في الماضي ، فصلى لكي أُعاقب مثلما صلى لكي يؤدب الرب الشعب فتوقف المطر ثلاث سنوات ونصف ، فاستجاب الرب وأمات ابني » ..

كيف نسيت أن إيليا قد أنقذها هي وابنها من الموت جوعاً وبمعجزة مستمرة كانت تراها في كل يوم ، الدقيق والزيت لا ينقصان !!.. كيف تتصور أن الذي أنقذ ابنها يكون سبباً في موته ؟.. الآن أصبحت لا تريد إيليا في

بيتها .. صارت تخاف منه ..

مرة أُخرى نرى تذكُّر خطايا الماضي يجدد الإحساس بالذنب الذي يُطلِق الأسد الوهمي في داخل الذهن ، صارت المرأة ترى في إيليا أسداً مؤذياً فتخاف منه مع أن اقترابه إليها كان دائماً لخيرها !!.. وبالفعل كما استخدم الرب من قبل إيليا في إنقاذها هي وابنها من الموت جوعاً فقد استخدمه مرة أُخرى في إقامة ابنها من الموت ..

لا لم يكن إيليا بالنسبة لها أسداً مرعباً كما توهمت .. كان إنساناً مُحباً استخدمه الرب لإنقاذها مرة ولإنقاذ ابنها مرتين ..

هل أدركت معي الخطورة البالغة من عدم التحرر من أية عقدة ذنب ؟.. عقد الذنب تجعلنا نتصرف مثل إخوة يوسف وأرملة صرفة ، نرى الأمور عكس حقيقتها ونفسر الأحداث تفسيراً خاطئاً مزعجاً ومخيفاً .. نراها تعمل لإيذائنا بينما هي لخيرنا فنخاف ولا يوجد حقيقة ما يدعو للخوف ..

القاريء العزيز ، لقد تألم الرب يسوع وهو على الصليب ثم مات لكي يهبنا الحياة الأبدية مجاناً وأيضاً لكي يحررنا من سيطرة الإحساس بالذنب على ضمائرنا ..

هل تثق أن الرب يسوع تحمَّل عقاب خطاياك بالكامل حينما عُلِق على خشبة الصليب ؟..

نعم لقد تحمَّل عقاب خطاياك بدلاً منك على الصليب لكي يمنح ضميرك راحة من كل ثقل الإحساس بالذنب ، اسمعه وهو يقول « تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال [ولاسيما أحمال الذنب الثقيلة] وأنا أُريحكم » (مت ١١: ٢٨) .. فهل أقبلت إليه ؟.. وهل آمنت به من قلبك أنه تألم ومات لأجلك ثم قام ؟.. تقول رسالة رومية إن هذا الإيمان يمنحك التبرير (رو ١٠: ١٠) ، أي أن تتحول من مذنب إلى ابن لله لا يحسب له الرب خطية (رو ٤: ٨) .. الرب يهبك غفراناً شاملاً لكل خطاياك ، الرب يسامحك فتصير قادراً أن تسامح نفسك ، وبكلمات أُخرى تتحرر من الإحساس المستمر بالذنب ..

ماذا عن نتائج خطايا الماضي ؟ هل تحيا خائفاً مرتعداً منها متوقعاً الأذى في كل يوم !!.. لا لقد حمل الرب يسوع على الصليب الخطية (١بط ٢: ٢٤) وأيضاً نتيجة الخطية ، اللعنة (غل ٣: ١٣) لكي لا تؤذينا .. تقول رسالة رومية :

« كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو ٨: ٢٨) ..

انتبه ، فالرب يقول « كل الأشياء » وليس بعضها أو أغلبها .. إن كل الأشياء تشمل أيضاً نتائج خطايا الماضي .. إنها تعمل لخيرنا ..

وتأمل كلمات يوسف إلى إخوته :

« أنتم قصدتم [بجريمتكم] لي شراً . أما الله فقصد به خيراً » (تك ٥٠: ٢٠) ..

تأمل لم يقل أن الله قصد به « خيري » .. لا بل « خيراً » .. فلم يستخدم الرب جريمتهم لخير يوسف فقط بل لخيرهم أيضاً ..

عندما تقابل الرب يسوع مع المرأة الخاطئة (التي كانت ترتزق من الزنى) قال لها بعد أن آمنت به هذه العبارة التي لا تُقدّر بثمن :

« إيمانك قد خلصـــك . اذهبي بسلام » (لو ٧: ٥٠) ..

اذهبي بسلام .. أي لا تخافي من نتائج خطاياك ، الآن سأجعل هذه النتائج تعمل لخيرك ..

القاريء العزيز ، يا من فعلت مثل هذه المرأة وآمنت بقلبك بالرب يسوع فأعطاك الخلاص .. لا تستسلم أبداً للإحساس بالذنب لكي لا تتعذب من الأسد الوهمي « الأسد في الخارج » .. في كل مرة يُذكّرك إبليس بخطاياك الماضية لكي يعمّق في داخلك الشعور بالذنب قل له :

إنني آمنت بالدم الثمين أنه محا خطاياي ..

إنني أُصدق ما تعلنه رسالة رومية أنه بإيماني بالرب قد تبررت وصار لي سلام مع الله ولي أن أهتف وأقول « لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع » .. وأنا بنعمة الرب واحد منهم .. هللويا لن أخاف من نتائج ذنوب الماضي ..

لا لن أتعذب بالإحساس بالذنب إذا تذكّرت خطايا الماضي ..

بل سأفرح لأن الرب طرحها في أعماق البحر ويستخدم نتائجها لخيري ..

الفصل السابع

عنـــدما تهتـــز نفســـيتك

إيليا أحد رجال الله العظماء هو أيضاً من الذين انخدعوا وخافوا من الأسد الوهمي .. نعم إيليا النبي صاحب الإيمان العظيم والمعجزات الخارقة العديدة .. إيليا الذي صلى ألا تُمطِر السماء تأديباً للشعب كي يرجع إلى الله فتوقف المطر ثلاث سنوات ونصف عانى الشعب خلالها من المجاعة بسبب ندرة المياه اللازمة للزراعة ثم صلى بعد توبة الشعب ورجوعه إلى الرب أن تُمطِر السماء فأعطت مطراً غزيراً ..

إيليا الذي اختبر عناية الرب به من خلال المعجزات ، ففي وقت المجاعة كانت الغربان تأتي إليه بالخبز واللحم كل يوم صباحاً ومساءً .. إيليا الذي قهر المئات من أنبياء البعل الإله الوثني استسلم هو أيضاً ذات مرة إلى خوف من أسد وهمي لا وجود له ..

لماذا استسلم لهذا الخوف ؟..

ماذا كانت نتائج استسلامه ؟..

كيف تعامل الرب مع هذه النتائج ؟..

القاريء العزيز .. تعال معي ندرس إجابات هذه الأسئلة الثلاث من خلال ما قالته كلمة الله .. تعال ندرسها ونحن واثقين أن الرب سيلمس قلوبنا وأذهاننا من خلال هذه الدراسة ..

لماذا استسلم للخوف ؟

القصة تبدأ بزواج آخاب ملك شعب الرب بإيزابل ابنة ملك صيدا الوثني والتي كانت تعبد البعل إله شعبها الوثني ..

أثَّرت إيزابل على زوجها آخاب فعبد هو أيضاً البعل وسجد له (١مل ١٦: ٣١) ، وامتد تأثيرها وازداد نفوذها فانتشرت عبادة البعل وسط شعب الرب وكثر أنبياؤه ومذابحه وانصرف كثيرون إلى عبادته ..

وصمم إيليا على إرجاع الشعب إلى الرب .. فواجه أنبياء البعل الربعمائة والخمسين الذين كانوا يتناولون

الطعام دائماً مع الملكة من أجل أن يُظهر للشعب وبكل وضوح من هو الإله الحقيقي ، الرب إلهه أم البعل إله إيزابل الملكة .. كانت المواجهة فوق جبل الكرمل واتفق الجميع على أن الإله الذي يُنزل ناراً من السماء على الذبيحة المقدمة له هو الإله الحقيقي « الإله الذي يجيب بنار هو الله » (١مل ١٨: ٢٤) ..

كان فوق الجبل مذبحان أحدهما للرب والآخر للبعل ، فقدم الربعمائة وخمسون نبي للبعل ثوراً مذبوحاً على مذبحه وظلوا طوال ساعات النهار من الصباح إلى الظهر يصرخون إليه « يا بعل أجبنا » (١مل ١٨: ٢٦) ولكن بلا طائل فلم تنزل نار من السماء .. ثم تقدم إيليا ووضع الثور الذي ذبحه مع الحطب على مذبح الرب ثم صب ماءً فوق الذبيحة والحطب ثلاث مرات حتى فاض الماء من على جوانب المذبح إلى أسفل وملأ القناة التي في أسفل المذبح ثم صلى للرب صلاة قصيرة لم تستغرق سوى دقائق قليلة « استجبني يا رب استجبني ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله » (١مل ١٨: ٣٧) ، فسقطت نار من السماء وأكلت الذبيحة والحطب وحجارة المذبح ولحست المياه التي في القناة ..

إنها معجزة عظيمة برهنت أن الرب إله إيليا هو الإله الحقيقي وأن البعل الذي تتزعم عبادته إيزابل الملكة ما هو إلا أكذوبة كبرى ..

وكان آخاب الملك متواجداً مع الجماهير المحتشدة فرأى معها هذه المعجزة وسمع الجماهير المتأثرة بالمعجزة تعلن عودتها للرب قائلة بصراخ عظيم « الرب هو الله الرب هو الله » (١مل ١٨: ٣٩) ، ثم رآها آخاب وهي تساعد إيليا في القبض على الربعمائة وخمسين نبي للبعل والقضاء عليهم ..

هذه المعجزة العظيمة ، نزول النار من السماء ، لم تكن هي المعجزة الوحيدة التي رآها الملك آخاب في ذلك اليوم .. فبعد أن قضى إيليا على أنبياء البعل قال للملك إن السماء سوف تُمطِر بعد قليل (١مل ١٨: ٤٤) في وقت لم تكن فيه السماء التي كانت قد توقفت تماماً عن أن تُمطِر لمدة ثلاث سنوات ونصف بها أية سُحُب تُنبيء بمجيء المطر .. لكن المعجزة حدثت وتحققت كلمات إيليا وأمطرت السماء وكان المطر غزيراً جداً ..

لقد عاين الملك آخاب المعجزتين ، نزول النار من السماء ونزول الماء من السماء !! والمعجزتان معاً يوجهان له رسالة هامة .. انظر لقد توقف المطر هذه المدة الطويلة فعانى شعبك من المجاعة المؤلمة بسبب عبادته للبعل ، ولما تاب اليوم لأنه رأى النار نازلة من السماء وأعلن رجوعه إلى الرب جاء المطر من

السماء وبغزارة ..

يا لها من رسالة نحتاجها جميعاً ، الخطية تجلب تأديب الرب والتوبة تُحضِر لنا بركاته العظيمة ..

معجزة ثالثة

رأى الملك آخاب في نفس اليوم معجزة أُخرى ولكن من نوع مختلف .. فبعدما ركب المركبة لينطلق بها عائداً من جبل الكرمل إلى قصره في مدينة يزرعيل ، شاهد إيليا يجري أمام مركبته بنفس سرعتها وبلا تعثر على الرغم من أنه كان يجري تحت وابل من المطر الكثيف وعلى أرض مبتلة ..

وفهم الملك آخاب أن إيليا هذا النبي العظيم الذي انتصر انتصاراً ساحقاً على أنبياء البعل يعامله باتضاع ويقدم له بهذه الطريقة الكرامة أمام الجميع باعتباره الملك « اكرموا الملك » (١بط ٢: ١٧) « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (مت ٢٢: ٢١) .. ولكن من أين لإيليا بهذه القوة الخارقة التي مكّنته بعد هذا اليوم الطويل الذي بذل فيه مجهوداً خارقاً في القضاء على المئات من أنبياء البعل أن يجري أمام المركبة التي تجرها الخيول المُسرعة كل مسافة الطريق أي نحو عشرين كيلومتراً (١مل ١٨: ٤٦) ..

لاشك أن الرب الذي أعطى جسد شمشون قوة عظيمة من قبل قد أعطى أيضاً قوة غير عادية لجسد إيليا في هذه المناسبة حتى يتمكن من أن يُظهر للملك آخاب بطريقة عملية أنه برغم المعجزات التي يصنعها لن يثير الشعب للتمرد عليه .. أنه يقبله كملك ويريده فقط أن يتوب مع الشعب ويرجع للرب ..

توقعات إيليا

الآن فكر معي عزيزي القاريء .. ماذا توقع إيليا من الملك آخاب بعد أن اطمأن إلى أن إيليا يقبله كملك للبلاد ؟.. ماذا توقع منه بعد أن رأى بعينيه هذه المعجزات الثلاث العظيمة التي تبرهن بكل قوة على أن الرب إلهه هو الإله الحقيقي ؟.. ببساطة نقول إنه توقع نهضة روحية عظيمة تحدث لكل الشعب ..

- الاحتمال الأول الذي يُرجح المنطق حدوثه أن يتأثر الملك وزوجته تأثراً عميقاً فيتوقفا عن مساعدتهما لعبادة البعل ويتوبا ويقودا معه الشعب إلى نهضة روحية مستمرة ..
- الاحتمال الثاني أن يظل الملك وزوجته على عنادهما ولا يتوبان عن عبادتهما الشيطانية للبعل

برغم هذه المعجزات العظيمة فيرسل الرب في الحال قضاءه عليهما ..

لم يتحقق الاحتمال الأول ، فلم يتب آخاب ولم تتب إيزابل فاعتقد إيليا أن الاحتمال الثاني سيحدث .. أي أن الرب سيقتلهما في الحال لينهي إعاقتهما لنهضة الشعب الروحية فتحدث توبة جماعية لكل الشعب وعودة حقيقية إلى الرب .. واعتقد أيضاً أنه سيبيدهما بريح عاصفة أو زلزال قوي يُسقِط القصر عليهما أو بنار محرقة تشتعل فيهما وتأكلهما (قارن ناحوم ١: ٣ وأيوب ٣٨: ١ وعدد ١١: ١ مع ملوك الأول ١٩: ١١، ١٢) ..

لكن هذا أيضاً لم يحدث ، لم يقتلهما الرب في الحال ، واستمرا في إعاقة النهضة الشاملة للأمة .. وعلى عكس المتوقع تماماً فوجيء إيليا برسول من الملكة إيزابل يقول له إن الملكة سوف تقتله غداً (١مل ١٩: ٢) ..

كان إيليا يتوقع أن مواجهته لأنبياء البعل فوق جبل الكرمل وقضاءه عليهم مع المعجزات التي شهدها الملك سيقود الشعب وملكه إلى التوبة والرجوع للرب .. وها هو الآن يرى عكس ما توقعه تماماً ..

ما أصعب هذا جداً ، حينما تعرف أن ما عملت لأجله وتعبت كثيراً لحدوثه لن يتحقق ، وكم هو صعب أيضاً أن تنتظر ثمراً ما زرعته عنبـاً فإذا به شوك **!!**.. اهتزت نفسية إيليا جداً واستسلم لأفكار سلبية خطيرة ..

- إنه يائس تماماً .. لا يرى أية فائدة لاستمرار حياته ومواصلة شهادته للرب فلن يتغير حال الأمة وسيبقى كما هو .. فالملك والملكة مستمران كما في السابق في مقاومة عبادة الرب ويُغرقان المملكة في عبادة البعل (١مل ١٩: ٤) ..
- إنه إنسان وحيد .. فلم يأتِ لمساندته أحد من رجال الرب وهو في مواجهته مع أنبياء البعل في جبل الكرمل .. كيف سيستمر في شهادته للرب وحيداً (١مل ١٩: ١٠) ..
- إن حياته في خطر ، الملكة ستقتله في الغد ..

انخفضت معنويات إيليا إلى الحضيض ، أصابه إحساس شديد جداً بالإحباط والشفقة على النفس وربما ساعد على هذا إرهاقه الجسدي والذهني بسبب المجهود الهائل الذي بذله طوال ذلك النهار الذي كان حافلاً بالأحداث الفريدة ..

عندما يُصاب المؤمن بهذه الحالة من الإحساس بالإحباط وتضطرب نفسيته وتنخفض معنوياته يصبح أمراً سهلاً وعادياً أن يسقط في فخاخ الخوف من الأسود الوهمية التي لا وجود لها .. لقد سقط إيليا في هذا الفخ الخطير لأن نفسيته اهتزت بشدة ، أصابه الارتعاب من تهديد الملكة له بالقتل مع أنه كان تهديداً كاذباً لم يكن له سوى هدف وحيد .. أن يخاف إيليا فيبتعد عن المملكة لكي تخلو للملكة الساحة لتنشر أكثر وأكثر عبادتها الوثنية وسط شعب الرب دون إعاقة من هذا النبي القوي ..

تأمـل أيضاً لو كانت الملكة جـادة حقـاً في طلب قتله لما أرسـلت تهـدده ، بل لقتلته في الحال دون أي إنذار ، فالتهديد يتيح له فرصة الهروب والنجاة .. الحقيقة أنها لم تكن تجرؤ على قتله لمعرفتها بقوته الخارقة ولخشيتها على عرشها من ثورة الجماهير الغاضبة لو أنها مسته بأي سوء ..

للأسف نجحت الملكة في تحقيق هدفها ، خاف إيليا من الأسد الذي في خياله فهرب متحركاً في الاتجاه الخاطيء تاركاً المكان الذي اختاره الرب ليشهد له فيه متجهاً إلى مكان بعيد عنه للغاية .. لقد خاف إيليا من الأسد الوهمي بسبب نفسيته المهتزة ومعنوياته المنخفضة ..

أسمع قارئاً يسألني .. لكن كيف يحفظ الإنسان نفسيته من الاهتزاز والإحساس بالإحباط في مثل هذه الظروف حينما تغيب المشجعات المنظورة ولا تتحقق الرغبات والتوقعات وتصبح النتائج مُخيبِّة للآمال .. إنه أمر أراه صعباً جداً على أي إنسان ؟!..

إجابتي لك قارئي العزيز ، إن إلهنا أعظم من كل ظروفنا وهو يقدر أن يحفظنا في أي ظرف مثلما تقول رسالة يهوذا « القادر أن يحفظكم غير عاثرين » (يه ٢٤) لكن علينا أن نراعي أمرين هامين أبرزهما لنا في كلمته :

- الحرص على الراحة

لقد تملكت أفكار الفشل والإحساس بالخوف على إيليا لأنه أولاً لم يعطِ نفسه فرصة أن يستريح نفسياً وجسدياً .. أيها الحبيب احذر الإرهاق الجسدي أو الذهني المتواصل فليس قصد الرب أن نُؤذي نفوسنا ، احرص على أوقات الراحة والاسترخاء اليومية والأسبوعية .. تذكّر أن الله يحذرنا في كلمته من إهمال أوقات الراحة (مزمور ١٢٧) .. لو كان إيليا أعطى نفسه وقتاً للراحة والاسترخاء بعد هذا اليوم الطويل الذي واجه فيه أنبياء البعل ثم جلس مع الرب العظيم في المشورة (إر ٣٢: ١٩)

طالباً إرشاده لعرف الحقيقة .. إن الملكة خائفة منه ..

- التمسك بوعود النجاح

كما أن أفكار الفشل تملّكت على ذهن هذا النبي العظيم لأنه لم يواجهها بوعود الرب لأولاده بالنجاح .. لم يواجهها بما يعرفه من هذه الوعود التي كانت مسجلة في أسفار الكتاب المقدس التي كانت بين يديه .. هل تريد أن تحفظ إيمانك من الاهتزاز حينما لا ترى نتائج مشجعة لجهدك ؟.. انشغل بهذه الوعود فهي قادرة أن تطرد من ذهنك كل أفكار الفشل ..

اسمح لي قارئي أن أذكّرك الآن ببعض منها :

- « قولوا للصديق خير . لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم [أي لن يُسلب منهم جهدهم] » (إش ٣: ١٠) ..
- « حقي عند الرب وعملي عند إلهي » (إش ٤٩: ٤) ..
- « مُكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب » (١كو ١٥: ٥٨) ..
- « لا نفشــل في عمل الخير لأننا سنحصــد في وقته إن كنا لا نكل » (غل ٦: ٩) ..
- « لأن الله لم يعطنا روح الفشل » (٢تي ١: ٧) ..

النتــــائج

هكذا هرب إيليا من المكان الذي دعاه إليه الرب لكي يخدمه فيه متجهاً إلى مكان بعيد جداً بسبب الخوف من الخطر الوهمي الذي تملّكه بسهولة نتيجة لاهتزاز نفسيته وانخفاض معنوياته .. ونأتي إلى إجابة السؤالين الثاني والثالث .. ماذا كانت نتائج استسلام إيليا لهذا الخوف من خطر الملكة الوهمي ؟ وكيف تعامل الرب مع هذه النتائج ؟..

هرب إيليا ومع ابتعاده عن مكان خدمته للرب ازداد إحساسه بالإحباط ودخل في حالة اكتئاب شديد بسبب أفكار الفشل والشفقة على النفس حتى أنه طلب الموت لنفسه وصلى وهو يائس « قد كفى الآن يا رب خذ نفسي » (١مل ١٩: ٤) .. ثم ألقى نفسه على الأرض تحت شجرة فغلبه النوم من الإنهاك النفسي

والجسدي الشديدين ..

ويا للمفارقة ، يهرب من خطر موت وهمي فيُصاب بالاكتئاب الشديد ليطلب من الرب الموت الحقيقي ..!!

محبة الرب العجيبة

تأمل معي محبة الرب المدهشة ، فلم يستجب الرب لهذه الصلاة التي خرجت من قلب إيليا الكئيب اليائس طالبة الموت بل تجاهلها تماماً ولم يجب عليها حتى بكلمة لا .. وكأن إيليا لم يصل هذه الصلاة قط ..

لم يسمح الرب أن تكون هذه هي خاتمة حياة خادمه على الأرض ، يموت تحت شجرة وهو في حالة الهزيمة ، منهزماً من الاكتئاب والخوف فلقد أعدَّ له خاتمة أُخرى مختلفة تماماً لم يرد أن يحرمه منها ..

طلب إيليا الموت ، أما الرب فلم يسمح للموت أن يقترب منه في أي وقت وبعد عشر سنوات اختطفه حيّاً إلى السماء محمولاً على مركبة من نار تجرها خيل من نار (٢مل ٢: ١١) ..

الرب يحبنا بلا حدود ، ومن محبته لنا ينتشلنا من مياه الاكتئاب والخوف إذا سقطنا فيها وبدأنا نغرق .. إنه « إله كل نعمة » (١بط ٥: ١٠) وقد تعامل مع إيليا بنعمة فائقة ..

أرسل الرب إلى إيليا ملاكاً قام بحراسته وهو نائم تحت الشجرة في الصحراء القاحلة ، ثم أيقظه ليقدم له طعاماً لذيذاً مع ماء ، كعكة طُهيت على الفحم .. أكلها إيليا ثم عاد للنوم من جديد فتركه الملاك حتى استراح جسده تماماً من الإعياء وذهنه من الإجهاد ثم أيقظه مرة ثانية قائلاً له « قم وكُل لأن المسافة كثيرة عليك » (١مل ١٩: ٧) فقام إيليا وأكل وشرب .. ثم أكمل السير في اتجاه الجنوب إلى جبل سيناء ..

الآن تأمل كيف اهتم الرب بجسد إيليا ، براحته وتغذيته حتى يقدر أن يفكر بطريقة سليمة ويقف ضد أفكار الفشل والخوف .. نفس الأمر نراه في لقاء الرب مع تلاميذه بعد قيامته من الموت .. لقد عادوا إلى صيد السمك لكنهم تعبوا طوال الليل ولم يصطادوا سمكة واحدة .. ظهر الرب لهم ولكن قبل أن يتحدث معهم في أي شيء قدم لهم سمكاً مشوياً وخبزاً ليقوي أجسادهم بعد أن أُنهكت بالصيد طوال الليل .. أيها الحبيب لا تنسَ أنك لست روحاً فقط ، أنت روح ولك نفس وتسكن في جسد وإهمالك لصحتك الجسدية له آثاره السلبية

الخطيرة على تفكيرك وعلاقتك الروحية مع الرب ..

تصحيح الأفكار

ثم تقابل الرب مع إيليا في جبل سيناء وهناك صحح الرب له أفكاره ..

- لا ، لم تفشل يا إيليا في الخدمة كما تعتقد .. وإليك الدليل على نجاحك ، يوجد سبعة آلاف مؤمن رفضوا أن يتلوثوا بعبادة البعل (١مل ١٩: ١٨) ..
- لا ، لا يستخدم الرب دائماً الريح الشديدة والزلازل والنار (١مل ١٩: ١١، ١٢) في مقاومة الأشرار الذين يضطهدون خدامه .. إن طرقه متنوعة وليس معنى أنه لم يدمر آخاب وإيزابل بالريح العاصفة أو الزلزال أو النار أنه يبقى صامتاً لا يفعل شيئاً لإيقاف شرورهما ، فكثيراً ما يعمل دون أن يلفت الأنظـــار ، بصوت منخفض خفيف (١مل ١٩: ١٢) ثم نرى النتائج العظيمة لما يفعله في الوقت المناسب .. أحياناً لا يأتي قضاؤه على الأشرار سريعاً ، فلم يقض على فرعون أيام موسى النبي في الضربة الأولى بل العاشرة ..

القاريء العزيز ، في كل مرة نجلس مع الرب وندرس كلمته يقوم بتصحيح أفكارنا وتجديد أذهاننا فيا لأهمية جلوسنا معه ..

مواجهة الخوف

قال الرب لإيليا « ما لك ههنا [في جبل سيناء] » (١مل ١٩: ٩) .. وكرر له هذا القول مرة أُخرى (١مل ١٩: ١٣) ليؤكد له أن مكانه ليس في جبل سيناء مختبئاً من إيزابل .. إن مكانه هو في قلب مملكة إيزابل !!.. قال له الرب « اذهب راجعاً » (١مل ١٩: ١٥) أي اطرح مخاوفك جانباً ، إنني دعوتك للخدمة هناك وأنا المسئول عن حمايتك ، ثق فيَّ ..

وعاد إيليا ولم تقتله الملكة .. لقد كان خوفه منها خوفاً لا أساس له.. خوف من أسد وهمي لم يكن له وجود إلا في ذهنه .. عاد إلى مكان خدمته كما كان من قبل شجاعاً لا يهاب إيزابل الملكة ولا آخاب زوجها (١مل ٢١: ١٧ ــ ٢٣) .. لكننا لا ننسى أنه أضاع بسبب خوفه أكثر من ثمانين يوماً بعيداً عن

مكان خدمته للرب في رحلتي الهروب والعودة ..

ويا لها من دروس عظيمة نتعلمها من هذه القصة :

- لنقاوم الاستسلام للخوف لأن الخوف يُسهِّل على إبليس مهمته في دفعنا لترك الدور أو المكان الذي يريده الرب لنا ..

- لا نترك من تلقاء أنفسنا أبداً المهمة التي كلفنا الرب للقيام بها ولا المكان الذي دعانا إليه لكي نشهد له فيه مهما كان تهديد الأعداء .. لا نتحرك إلا إذا قادنا الرب للهروب أو دعانا إلى مهمة أُخرى أو مكان آخر .. فالمهمة الناجحة هي دائماً المهمة التي يختارها لي الرب والمكان الآمن هو فقط المكان الذي سيرسلني هو إليه ..

- ليست مشيئة الرب لنا أن نخاف من الأشرار مثلما خاف إيليا من إيزابل الملكة ، فتضعف معنوياتنا ويضطرب تفكيرنا ونتصرف بغباء .. بل لنثق أنهم هم الذين يخافون منا مثلما وثق إرميا فقال « ليرتعبوا هم ولا أرتعب أنا » (إر ١٧: ١٨) .. ولا ننسى أن وعد الرب لكل أبنائه هو « أرسِل هيبتي أمامك » (خر ٢٣: ٢٧) ..

- لا يجب أبداً أن نتخذ قراراتنا لمواجهة أي خطر ونحن منزعجين أو مضطربين بل بعدما نلقي أولاً همومنا على الرب وتستريح قلوبنا .. مكتوب « بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم » (إش ٣٠: ١٥) .. لنتخذ قراراتنا دائماً ونحن في محضر الرب طالبين قيادته لنا ..

- ولا ننسى الدرس الرئيسي .. ألا نسمح لمشاعرنا أن تهتز ولمعنوياتنا أن تنخفض إذا لم يتحرك الرب بالطريقة التي نتوقعها .. لنستمر واثقين فيه ، أنه دائماً يحقق وعوده .. وأن له طرقاً متنوعة في تحقيقها « عند الرب السيد للموت مخارج [وليس مخرج واحد] » (مز ٦٨: ٢٠) ..

يوحنا المعمدان

كان يوحنا المعمدان مسجوناً بسبب شهادته الأمينة للحق في الوقت الذي كان فيه الرب يسوع يُجري المعجزات العظيمة .. توقع أن يصنع الرب معه المعجزة ويحرره من السجن ويحرر أيضاً الشعب من

هيرودس الحاكم الظالم الذي ألقاه بالسجن ومن الاستعمار الروماني الذي يذل ويسلب الشعب ويدعم هيرودس ..

كان يوحنا يعرف أن الرب يسوع هو المسيا (المسيح) المنتظر وكان يعرف النبوات التي تقول إن المسيا يأتي ليحرر شعبه (إش ٦١: ١) كما كان يعرف أن الرب وعد المقيدين بالحرية (لو ٤: ١٨) ..

طال الوقت ولم يحرر الرب الأمة من الرومان ولم يقضِ على هيرودس ولم يُخرج المعمدان من السجن بمعجزة ، فحاربت الشكوك يوحنا المعمدان لأن الوعود لم تتحقق بالطريقة التي كان يتوقعها ..

لكن يوحنا كان عظيماً في مواجهته لهذه الشكوك ، تصرف التصرف السليم الذي علينا أن نفعله متى هاجمتنا أفكار الشك .. أحضرها كلها إلى الرب ..

« فدعا يوحنا [وهو في السجن] اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلاً أنت هو الآتي [المسيا الذي ننتظره] أم ننتظر آخر » (لو ٧: ١٩) ..

وجاءت إجابة الرب يسوع حاسمة ..

« اذهبا واخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما [معجزات الشفاء والتحرير] .. طوبى [يا لسعادة] لمن لا يعثر [يشك] فيَّ » (لو ٧: ٢٢، ٢٣) ..

والمعنى .. استمر يا يوحنا واثقاً فيَّ .. استمر واثقاً في صدق وعودي ويا لطوباك .. يا لسعادتك إذا ظللت واثقاً ولم تعثر فيَّ ..

القاريء الحبيب ، حينما لا تتحقق وعود الرب معك تعال إليه ، حدثه عن شكوكك وضعف إيمانك .. قل له إنك لا تفهم لماذا تحققت الوعود مع كثيرين ولم تتحقق معك بعد .. الرب سيجيبك كما أجاب يوحنا المعمدان وسيقول لك استمر واثقاً فيَّ ..

ويا لطوباك ويا لسعادتك إذا لم تفعل كإيليا وظللت واثقاً في الرب ، إنه يحبك ويجعل كل الأشياء تعمل معاً لخيرك ..

يا لسعادتك إذا ظللت واثقاً في الرب ، فالثقة تأتي بالسعادة حتى في وقت الضيق ..

« مع أنه لا يُزهِر التين ولا يكون حمل في الكروم

يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاماً

ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر في المذاود

فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي [إنقاذي] .

الـرب السـيد قوتـي ويجعـــل قدمـــيَّ كالأيائـــل »

(حب ٣: ١٧ ـ ١٩) ..

كلمة أخيرة

أحب أن أشاركك قارئي العزيز بما حدث معي حينما كنت أتهيأ لإرسال مسودة هذا الكتاب للمطبعة ، وجدت نفسي مشغولاً بأحد أمثال الرب يسوع، مَثَلَ الوزنات .. أبدأ يومي متفكراً فيه وأنام وأنا أتأمل في معانيه ، ولم ينقطع انشغالي به طوال اليوم ..

لقد كلمني الرب طويلاً من خلال هذا المَثَلَ ، وعلّمني دروساً عظيمة الفائدة .. من هذه الدروس درس لا أراه بعيداً عن موضوع هذا الكتاب فآثرت أن أشاركك به ليكون الخاتمة المناسبة لهذا الكتاب ..

الدرس يتعلق بالعبد صاحب الوزنة الواحدة ، والوزنة talent كانت من الفضة تُعبِّر عن مقدار من المال يساوي أجر عامل لمدة خمس عشرة سنة ..

العبدان الأول والثاني

اجتهد العبدان الأول والثاني ، تاجرا بوزناتهما فربحا مثلها فمدحهما السيد وكافأهما (مت ٢٥: ٢١ ، ٢٣) .. أما العبد الثالث فلم يتاجر بوزنته وبرر تكاسله بالخوف .. لقد توقع الخسارة إذا ما تاجر بوزنته ، وبنى توقعه على أن الظروف صعبة (انظر لو ١٩: ١٤) وأن سيّده لا يقدم له أية مساعدة كما يرى أيضاً أنه سيد قاسٍ يريد فقط الربح !!.. يريد أن يحصد دون أن يشارك في أتعاب الزرع ومشقاته ، فقد قال لسيده « عرفت أنك إنسان قاسٍ تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر . فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك في الأرض » (مت ٢٥: ٢٤ ، ٢٥) ..

توقع الخسارة ، أن تنقص الوزنة أثناء المتاجرة فخاف من عقاب سيده له فاكتفى بأن يحافظ عليها كما هي بلا أدنى نقصان .. خبأها في مكان آمن حتى لا تُسرق ، حفر في الأرض ودفنها !!..

كان في مقدوره أن يضع الوزنة لدى الصيارفة (مثلما تودع الأموال الآن في البنوك) ليحقق لسيده ربحاً وإن كان أقل بكثير من ربح المتاجرة لكن الربح القليل هو أفضل بلا شك من لا شيء .. حتى هذا الأمر لم يفعله بالرغم من أن احتمال الخسارة في تلك الحالة يكاد يكون منعدماً !!..

تملكه الخوف من الخسارة وأيضاً الخوف من العقاب بسبب الخسارة فتمادى في الكسل ليضر سيده ويؤذي نفسه هو أيضاً أشد الأذى .. لقد حرم نفسه من المكافأة وازدياد ما يمتلك بل فَقَدَ وزنته إذ أخذها منه سيده وأعطاها للعبد الأول بالإضافة إلى أنه عوقب عقاباً شديداً (مت ٢٥: ٣٠) ..

الرمـوز

لاشك أن السيد في هذا المَثَلَ يرمز إلى الرب يسوع بينما ترمز الوزنات إلى المواهب والامتيازات والممتلكات التي يهبها الرب لنا .. المواهب الطبيعية والروحية والامتيازات كالمناصب العالية والقيادية والممتلكات من أموال وشركات وعقارات ..

الرب يريدنا أن نستخدم كل هذه العطايا لخدمته ، أن نسلّمها له ليستخدمها كما يشاء في إظهار محبته للبشر وإعلان مشيئته من جهة خلاصهم وفي المساهمة بفاعلية في خلاص النفوس وبناء الكنيسة (رعاية وتعضيد المؤمنين) وأيضاً في مقاومة الشر وأعمال إبليس .. وعندما نفعل هذا ستتضاعف وزناتنا ، مثلما تضاعفت مع العبدين الأول والثاني وبكلمات أُخرى ستزداد مواهبنا وإمكاناتنا وممتلكاتنا ..

القاريء العزيز .. لا تخف أن تضع كل ما تمتلك في يد الرب لخدمته ، فلن تخسر بل ستكسب مثل العبدين الأول والثاني .. لا .. لا تفعل مثل العبد الثالث الذي خاف فكانت خسارته فادحة ..

السيف

دعني أؤكد لك أن الخوف من حدوث خسائر مؤذية أو فشل مُحبِط أو حرمان من السعادة في حالة ما وضعنا إمكاناتنا في العبادة وخدمة الرب بين يديه هو خوف من أُسود وهمية لا وجود لها .. إبليس يحاول بكل الطرق أن نصدق وجود هذه الأُسود لكي لا نبذل من أجل خدمة الرب وامتداد ملكوته وبنيان كنيسته .. إنه كائن مظلم دائماً يسعى لتعطيل عمل الرب ..

فلنقاومه كلما حاول أن يفعل ذلك .. لنقاومه بسيف الروح المرعب له ولكل الأرواح الشريرة التي تتبعه .. سيف الروح هو كلمة الله ، تقول رسالة أفسس « خذوا .. سيف الروح الذي هو كلمة الله » (أف ٦: ١٧) ..

هل يخيفنا إبليس بهذه الأُسود الوهمية ؟.. لنواجهه بسيف الروح بكلمة الله أي بالآيات الكتابية التي تعلن الحق إننا لن نفشل في عبادتنا وخدمتنا للرب ولن نخسر بل سننجح ونجني المكاسب الحقيقية ونكون في الارتفاع .. نعم لنواجه إبليس حينما يخيفنا بمثل هذه الآيات :

- « لا تعوقوني والرب قد أنجح طريقي » (تك ٢٤: ٥٦) ..
- « طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك في طرقه . لأنك تأكل تعب يديك [لن تفشل] » (مز ١٢٨: ١، ٢) ..
- « الرب كان معه ومهما صنع كان الرب يُنجحه » (تك ٣٩: ٢٣) ..

لن يحتمل إبليس سماع مثل هذه الآيات حينما نقولها بإيمان .. ستكون بمثابة طعنات من سيف حاد تُعذّبه جداً .. سيهرب مرتعداً فتختفي صور الأُسود الوهمية التي حاول أن يخيفنا بها ..

ابن إيمانك

أيضاً ابن إيمانك راسخاً قوياً بتذكُّرك لقصص الكتاب المقدس العديدة التي تؤكد هذا الحق .. إننا لا نخسر ولا نفشل عندما نضع إمكاناتنا بحب في يد الرب ليستخدمها لمنفعته ..

- فلم يخسر إبراهيم عندما وضع إسحق ابنه في يد الرب وهو يقدمه على المذبح ، لم يفقد إسحق بل كسـب بركات عظيمة (تك ٢٢: ١٣-١٨) ..
- ولم يخسر الغلام عندما قدم للرب وجبة الطعام الخمسة أرغفة والسمكتين بل كسب ، فقد أكل هو وكل الذين معه إلى الشبع بقدر ما شاءوا (يو ٦: ١٠-١٣) ..
- ولم تخسر الأرملة التي وهي على حافة الموت من الجوع صنعت من قليل الدقيق والزيت الذي كان لديها كعكة لإيليا نبي الله ليأكلها قبل أن تصنع لنفسها ولابنها .. لم تخسر بل كسبت إنقاذاً لها ولابنها من الموت ورأت معجزة عظيمة « كوار [طبق] الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم ينقص » (١ مل ١٧: ١٦) لمدة عامين وبدون تدخُّل من إنسان ..
- ولم تخسر المرأة الشونمية حينما أنفقت من مالها ووقتها لتبني لأليشع النبي حجرة في أعلى بيتها مساهمة منها في خدمة الرب بل كسبت فقد شُفيت من العقم (٢ مل ٤: ١٠ ـ ١٧)..

لا ، لن نخسر أبداً عندما نضع كل ما في يدينا في يدي الرب كي نكون نافعين له (٢تي ٢: ٢١) بل ستزداد مواهبنا وامتيازاتنا وإمكاناتنا وتنمو علاقتنا مع الرب ونرى بوضوح يد الرب وهي تعمل بقوة ..

العكس أيضاً صحيح فسنخسر أي شيء لا نضعه تحت تصرف الرب مثلما فَقَدَ العبد الثالث وزنته .. وانتبه قارئي العزيز ، لا يكفي أن تتجنب استخدام مواهبك وامتيازاتك وممتلكاتك في فعل أُمور غير نقية بل يجب أن تضعها بفرح وبدون تحفظ تحت تصرف الرب لخدمته ، فالعبد الثالث لم يفقد وزنته ولم يُحرم من المكافأة ولم يُعاقب لأنه أنفق الوزنة مثل الابن الضال في التمتع بالخطية (لو ١٥: ١٣) بل لأنه لم يتاجر بها لمنفعة سيده ..

كمبدأ عام فنحن نخسر أي شيء نحتفظ به لأنفسنا ولا نسلّمه للرب كي يستعمله كما يشاء .. ولن نخسره فقط بل أيضاً سنحرم أنفسنا من مكافآت عظيمة كنا سننالها في الأبدية (اقرأ كتاب فكر في المكافآت) ..

لا للتراجع

قارئي إن أرادك الرب أن تستخدم شيئاً من مواهبك أو امتيازاتك أو أملاكك لخدمته ووجدت الظروف قاسية ومقاومة العمل شديدة .. فلا تتراجع ولا تسمح لحماسك أن يقل ..

لا .. لا تصدق أن أُسود الخسائر والفشل في انتظارك لتقضي عليك فلا وجود لها .. ولا تسمح لإبليس أن يضللك فهذه الظروف وتلك المقاومة ليست بسبب أن إلهك قاسٍ كما ظن العبد الثالث .. حاشا فهو « إله كل تعزية [تشجيع] » (٢كو ١: ٣) وأيضاً « إله كل نعمة » (١بط ٥: ١٠) الذي يحبك جداً ودائماً يختار ما هو

أنسب لك وما سبق وأعدّك لمواجهته .. كن متأكداً أنه كلما كانت الظروف أصعب والمقاومة أشد كلما كانت الأهداف والنتائج أعظم والاختبارات أروع .. لمجده ولخيرك ..

ولا تستسلم للخوف من أسد الفشل إن كان الثمر من مشاركتك في ربح النفوس قليلاً على الرغم من إيمانك وأمانتك واجتهادك ، فلا تنس أن فصول العام ليست كلها فصول حصاد .. يوجد وقت لتهيئة الأرض وبذر البذار ووقت للسقي والانتظار وقد لا تكون الآن في فصل الحصاد (يو ٤: ٣٧ ، ٣٨) .. ولا تحكم على وجود الثمر وتحقيق النجاح بالعين البشرية الخادعة فالنجاح في نظر الرب قد يختلف عنه في نظر الناس .. تأمل هذين المثلين :

- رأى تلاميذ يوحنا المعمدان أن ثمره قد تناقص فقد تحولت عنه الجموع واتجهت إلى الرب يسوع (يو ٣: ٢٦) وربما حسبوا هذا فشلاً .. أما الرب فرآه قمة النجاح وشهد للمعمدان أنه « أفضل من نبي » (لو ٧: ٢٦) ،،
- عندما ضرب موسى الصخرة بعصاه مرتين تدفقت المياه وشرب الشعب ، ولاشك أنهم في هذه الحادثة رأوا في موسى نبياً عظيماً أنقذهم من العطش المميت في البرية .. لكنه لم يكن كذلك في عيني الرب فقد تصرف برعونة ولم يلتزم بتعليمات الرب فاستحق منه اللوم بل والعقاب (تث ٣٢: ٤٨ ـ ٥١) ..

فلنعلن إيماننا أننا لن ننخدع ولن يضعف حماسنا لخدمة الرب مهما قلّ الثمر ، فالثمر سيتزايد والنجاح سيكبر وباسم الرب يسوع لن نخاف من الأسود الوهمية أسود الفشل والخسارة .. ولنردد مع نحميا كلماته القائلة « إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده نقوم ونبني » (نح ٢: ٢٠) ..

عزيزي ، الآن وقد أوشكنا على الانتهاء ، فلتسمح لي أن أتقدم إليك بهذا السؤال :

ما هي نقاط الضعف أو الفشل أو الجهل التي لديك وكشفتها لك قراءتك لهذا الكتاب ؟

ثق أنه الوقت ليتحول :

ضعفك إلى قوة
وفشلك إلى نجاح
وجهلك إلى تمسك بالحق
الذي يحفظ من الخوف